القسم الثانى

علم النفس

الفصل الأول

مفاهيم الذكاء ونظرياته

لقد تعددت مفاهيم الذكاء عند الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس والاجتماع وبعض علماء البيولوجي والتى كانت متناقضة ومتعارضة لوجهات نظرهم المتباينة والتى جاءت طبقا لاتجاهاتهم المختلفة باختلاف نوعية الدراسة لكل فريق، ولذلك لم يصلوا على اتفاق واحد يفسر ما هو الذكاء وأين هو، ولم يصلوا إلى معنى واحد يعرف الذكاء.

وبالرغم من هذا شاعت كلمة الذكاء بين الناس وأصبحت من أقوى الكلمات التى يوصف بها بعض الناس، وجاء علماء النفس والاجتماع واعتبروا الذكاء من أكثر المفاهيم فى علم النفس شيوعا وارتباطا بالتحصيل الدراسى والنجاح والتفوق فى المهام التعليمية المختلفة واعتقدوا أنه أحد العوامل الرئيسية للنجاح والتفوق فى الأوضاع المدرسية والحياتية، والذى أدى إلى اعتقاد المعلم والمتعلم بأن الذكاء عامل رئيسى لظهور الفروق الفردية بين الأفراد (التلاميذ)، مما أدى إلى تصنيف بعضهم البعض بهذا ذكى والبعض الآخر غبي.

وعندما جاء علماء النفس لدراسة وتحديد الفروق الفردية، وجدوا بأن من وصفوه بالذكاء غير قادر على فعل شيء فى موضوعات أخرى ومن الممكن الذى وصف بالغباء فى استطاعته فعلها وتأديتها بصورة أفضل ممن وصف بالذكاء.

ولقد ذهب علماء النفس بعمل مقياس لتحديد درجة الذكاء، فوجدوا بأن المقياس الواحد لا يفيد فى تحديد درجة الذكاء، فتعددت المقاييس والاختبارات للذكاء العقلى ولم يجدوا أيضا تفسيرا يحدد أو يعطى معنى للذكاء بسبب تعدد القدرات الفردية المختلفة عند الأفراد وهى أن كل فرد له قدرة معينة لموضوع معين يختلف عن الموضوعات الأخرى. ولتصميمهم على وجود ذكاء عقلى فى الإنسان، ولتعدد الموضوعات والأشياء ولتعدد الاتجاهات والقدرات المختلفة، جعلتهم يأتون لنا بأحدث النظريات فى الذكاء والتى تسمى «بالذكاءات المتعددة» واعتبروا بأنه يوجد ذكاء عام يساعد الفرد على فهم وعمل الأشياء، وذكاء خاص وهو القدرة التى تساعده على فعل شيء معين دون الأشياء الأخرى.

ولقد فسروا هذا بأن الذكاء العام الناتج عن العمليات العقلية والتى تساعده فى الدراسة والتحصيل والذكاء الخاص يعود إلى قدرة الفرد على فعل شيء معين ويعود إلى أدائه بصورة متميزة عن بقية الأفراد، واقتصروها على بعض الميادين القليلة من الحياة وهى الرياضة والموسيقى والفن والشعر، وأطلقوا عليهم الموهوبين فى هذه الأشياء أى عندهم « ذكاء خاص « لأداء وفعل هذا الشيء بتميز واضح عن بقية الأفراد.

ولذلك ترددت كلمة الذكاء عند عامة الناس وشاعت بينهم والمرادف لها «النباهة» أو «التفتيح» أو «النصاحة» وهى يقظة المرء وحسن انتباهه وتفطنه لما يدور حوله أو لما يقوم به من أعمال....... إلخ وهم

يصفون بالذكاء كذلك الشخص حسن التصرف الذى يصطنع الحيلة لبلوغ أهدافه والذى يقدر على التبصر فى عواقب أعماله، كما أنهم يميلون عادة إلى اعتبار الذكاء قدرة عامة شاملة يبدو آثارها فى ميادين مختلفة، فالذكى فى ميدان التجارة يستطيع أن يكون ذكيا فى ميدان السياحة أو الخدمة الاجتماعية أو معالجة مشكلات الناس وحتى مشكلات أطفاله وغيره.......... هذا إلى أنهم يرونه موهبة طبيعية لقدرة يكتسبها الفرد بالخبرة والتعلم والتحصيل.

وعلى الرغم من أن اصطلاح «الذكاء» شائع بين الناس، يستخدمونه بكثرة فى حياتهم وفى حديثهم اليومى إلا أنك إذا سألت أحدا عن تعريف الذكاء لوجدت أنه يجد صعوبة كبيرة فى تحديد معناه وفى وضع تعريف واحد دقيق له، ولعلنا نلتمس العذر لعامة الناس إذا وجدوا صعوبة فى تعريف الذكاء، ذلك أن علماء النفس أنفسهم لم يتفقوا فيما بينهم على تعريفه.

التوضيح الأولى لعدم وجود ذكاء

وأوضح لكم القول قبل المناقشة والتحليل للمفاهيم المختلفة، للاثبات الأولى لعدم وجود «ذكاء عقلي» فى عدة نقاط والتى استنبطها من نفس دراستهم، وهي:

١- أن ما ادعوه «الذكاء» ليس شيئا عينيا محسوسا واعتبروه شيئا معنويا مجرد ولذلك لم يستطيعوا أن يجدوه بصورة مادية للمشاهدة

والقياس وذهبوا للاستدلال عليه فى سلوكيات الفرد الإنسانى وتفكيره فلم يجدوه، لأن هذه الاستدلالات لا تعبر عن قدرة أو صفة عامة مجردة.

٢- جعلوا هذا المصطلح نشاطا عقليا متداخلا بعلاقات عضوية متشابكة مع نشاطات عقلية أخرى مثل التفكير والفهم والتعلم والتحصيل.... فعجزوا عن فصله ودراسته على حدة وكما أنه أثناء محاولات قياسه وجدوا بأن هذا القياس لا يظهر شيئا محددا نقول عليه ذكاء ولكن نتائج القياس والاختبارات عكست قدرات عديدة خاصة بالأفراد ولم يجدوا ما ادعوه من ذكاء، وبسبب أن التعريف الواضح الدقيق لأى سمة من السمات، إنما يأتى بعد قياسها ودراستها.

٣- تأثر المفكرين والعلماء بتخصصاتهم العلمية وخلفيتهم الثقافية، مما أدى إلى اختلاف الزاوية التى يرون منها الذكاء فمنهم من نظر إليه من ناحية أسباب حدوثه فكانت هناك مفاهيم «عضوية واجتماعية»، ومنهم من نظر إليه من ناحية وظائفه و مظاهره فكانت التعريفات «النفسية» وآخرون نظروا إليه من ناحية طريقة قياسه فكانت التعريفات «الإجرائية» فتعددت النتائج لتعدد زوايا الرؤية ونتج عن ذلك تعريفات جزئية غير شاملة وغير جامعة (وهذا الاختلاف أدى إلى عدم الوصول لشيء معين لما ادعوه من ذكاء).

لقد وضحت بهذه النقاط الثلاثة بأن الشيء أو المصطلح الذى صنعوه بأنه شيء غير مادى ولا محسوس، وكما أنه لا يقاس مقياسا مباشرا،

وتناوله العلماء من زوايا ومنطلقات مختلفة، وبما أنهم لم يستطيعوا الوصول إلى شيء محدد يفسر لنا ما هو الشيء الرئيسى والمسئول عن تواجد الفروق الفردية، فإن الشيء الذى ادعوه غير موجود فى الإنسان.

وبهذا التوضيح الأولى الذى نفى قولهم وصنعهم بوجود ذكاء عقلى فى الإنسان والمسئول عن التميز والابداع للأفراد(الفروق الفردية).

ولعلكم تتيقنون بعد المناقشة والتحليل للمفاهيم الآتية والتى تؤكد لك ولإثبات وإيجاد العامل الرئيسى والمسبب لتواجد الفروق الفردية والتى منحت ووهبها الله للناس أجمعين لكى تساعدهم وتجعلهم متعاونين لتسهيل المعيشة معا فى البيئات المختلفة الظروف والتعقيد.

١- المفهوم اللغوى:

إن كلمة الذكاء فى اللغة العربية لها تاريخ طويل على عكس كلمة Intelligence الأجنبية التى لم يشع استخدامها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر، والذكاء فى اللغة العربية هو «القدرة على سرعة الفهم»، فالمحك الأساسى للفهم هو الذكاء، **وللفهم** بداية وتمام فبدايته الفطنة وتمامه الذكاء. ويغلب أيضا على تعريف الذكاء عامل السرعة، وقيل أن الذكاء سرعة الفهم وحدته والبلادة جموده وعندما تصل السرعة إلى أقصى حد يقال عن الشخص أنه ألمعى والألمعى هو الفطن الذكي. وهذا المفهوم عند علماء اللغة جاء متأثرا بوجهات النظر الفلسفية والنفسية لعلماء الغرب.

وللتعليق على هذا المفهوم لإثبات عدم وجود ذكاء عقلى للإنسان فسوف أعود وأفسر المعنى اللغوى عند العرب وهو «القدرة على سرعة الفهم»، فهم اعتبروا الذكاء عاملا رئيسيا للفهم وتفاوته يعود إلى السرعة. فإذا تناولت كلمة الفهم لوجدناها متاحة وممنوحة لكل الناس بالتساوى الذى يعود إلى وجود المخ (العقل) عند كل الناس، ولعلك تلاحظ أن فى استطاعة كل فرد أن يفهم أى شيء عندما يعرض عليه بالعمليات الممنوحة لكل انسان فى مخه وهى (التفكير والتعقل) وهما العمليتان العقليتان المذكورتان فى القرآن الكريم ولذلك تلاحظ أن **الفهم** له بداية وتمام، فبدايته «التفكر» وتمامه «التعقل» وهذا التفسير غير مافسروه علماء اللغة العربية. وبالرجوع إلى عامل السرعة فى الفهم والذى رده علماء اللغة السبب الرئيسى للذكاء وتمامه، وهو الذى يؤدى إلى تفاوت درجات الفهم من بطيء إلى سريع الفهم. ولعلك بتفكيرك وتعقلك أيها القارئ تلاحظ استطاعة كل فرد من البشر بأن يفهم موضوعا أو أى شيء معين بسرعة قصوى ويفهم موضوعا آخر بدرجة أقل، ولكن من الممكن لهذا الفرد وباستطاعته أن يصل بدرجة الفهم القصوى لتساوى الموضوع الأقل والأبطأ فى فهمه بأبسط الأشياء وهو «**التكرار**» وهذا التكرار يستغرق من الفرد وقتا أكثر ولكن نلاحظ بأن هذا الفرد وبالمحصلة النهائية أن يحفظ فى ذاكرته (مخه) الموضوعين بدرجة متساوية فى الفهم وبمقدور الفرد نفسه استدعاء أى معلومة من الموضوعين بخاصية «التذكر»

التىتعد العملية العقلية الثالثة الممنوحة والمتاحة لكل الناس.... فأين الذكاء؟

ولتوضيح الكلمة الأجنبية intelligence بما تعنيه عند مستخدميها فى الغرب نلاحظ أنهم يستخدمونها فى وضعها المناسب والمؤدى إلى معنى مفيد لديهم، فهى صفة للأفراد القادرين على جمع وتحصيل المعلومات information بأكبر وأقوى قدرة تحصيلية للمعلومات والبيانات والأخبار وهذا واضح بالنسبة للمؤسسات و التى تدار بأفراد متعددة ومختلفة القدرات فى جميع ميادين الحياة، مثل أجهزة المخابرات العامة للدول ومنها على سبيل المثال لا الحصر المخابرات الأمريكية وجاءت تسميتها متضمنة كلمة intelligence وهى «CIA» وهى اختصارات للكلمات :

.Central Intelligence Agency

فكلما زادت وكثرت كمية المعلومات ازدادت قوة الجهاز فى التخابر مما يؤدى إلى تصنيف الأجهزة المخابراتية فى قوتها وإمكانيتها على قدر المعلومات والأخبار المحصلة لديهم من جهة غامضة بالنسبة للآخرين، فيقال بأن هذا الجهاز من أقوى أجهزة المخابرات. وهذا يفسر لنا بأن كلمة intelligence وضعت فى مكانها المناسب المعبر عن القوة والتميز فى تجميع وتحصيل المعلومات وهو المحصلة وليس الذكاء، بمعنى غير المعنى لدى علماء اللغة العربية الذى ترجم بالخطأ وعدم الترجمة إلى

المعنى المناسب للكلمة مما أدى إلى انسياق كل الناس من العرب وفى مقدمتهم علماء النفس والاجتماع ومن بعدهم كل أفراد المجتمع العربى بميادينه المختلفة فى الحياة.

وبهذا المفهوم الخاطئ والذى أدى بدوره دراسة «الفروق الفردية» للتوصل ما هو السبب فى وجود التميز والإبداع بين الأفراد فأعادوه إلى كلمة مترجمة بمعنى مختلف تماما عن المعنى الحقيقى لأصل الكلمة ولذلك انقاد كل الناس وراء كلمة «الذكاء» غير الموجودة فى الحقيقة على الرغم من أن هذه الكلمة لم تذكر فى القرآن الكريم من حيث اللفظ ولا حتى بأى معنى يدل على تواجدها فى طيات الآيات الكريمة والقرآن الكريم ولا حتى الرسالاتَ التى نزلت من الله وهى «التوراة» و «الإنجيل».

ومن الواضح الآن بأن كل الأفراد يستطيعون الفهم والتحصيل والتذكر المختلفة للموضوعات فى عقولهم بدرجات متساوية، ولكن سوف يتبادر للذهن: ما هو السبب الذى أدى إلى التفاوت فى درجة الفهم للموضوعين والتى عوضت بالتكرار؟

وللإجابة عن هذا السؤال والذى يكمن فى إجابته على السر الغامض أو الغائب لمعرفة معناه الحقيقى بالرغم من أن كل الناس بمن فيهم علماء النفس والاجتماع ومن بعدهم علماء اللغة العربية يرددونه ويستخدمونه

فى السلوك الظاهر للإنسان ولكن برؤيتهم وفكرهم بوجود ذكاء عقلى والذى أدى بهم إلى عدم التعرف على الجوهر والمعنى الحقيقى للكلمة المستخدمة والمترددة فى جميع ميادين الحياة كلفظ يفسر السلوك الظاهرى وليس الباطنى الداخلى فى النفس بجوهرها وعظمتها لوظيفتها فى الإنسان والتى عندما تعرفها على حقيقتها سوف تلغى وتمحو كلمة الذكاء والتى جاءتنا من المخلوق وليس الخالق. ولعلك تتيقن هذا السر فى نفسك ولا يعلمه أحد غير الله ألا وهو كلمة «الميول أو الاستعداد» التى اسميها «الهبة الخاصة» وللتوضيح أكثر بخصوص الموضوعين المختلفين اللذين حصلهما الفرد بدرجة متساوية ولكن عوض أحداهما فى الفهم بالتكرار وهذا يعود إلى الاختلاف فى الميول أو الاستعداد وكلما تعددت الموضوعات المختلفة كلما تعددت الاستعدادات أو الميولات عند الأفراد ومن هذا الميول تظهر الفروق الفردية والتى نالت أكبر قدر من الدراسة والبحث فى كونها من أهم العلوم فى الحياة لأنها تتعلق بطبيعة الإنسان والتى أمدتنا وأفادتنا بأشياء كثيرة فجعلتنا نتعرف على السلوك الظاهرى للأفراد ولكن علقوا فى دراستهم للفروق الفردية على مصطلح الذكاء الذى لا وجود له فأصبحت الدراسة والبحث متعارضة ومختلفة ولم تصل بهم إلى معرفة القدرة الحقيقية والتى تتلخص فى معرفة المعنى الحقيق لكلمة «الميول» وهو بتعريفها الدارج عند كل الناس بكلمة الحب، أى حب الشيء وميول الشخص لتعلمه.

ولعلك من هذا التوضيح للمفهوم اللغوى الذى نفى قولهم بوجود ذكاء بأن تتيقن وبسهولة على بقية المفاهيم التالية.

٢- المفهوم الفلسفي:

لقد أشار بيرت إلى أن مصطلح الذكاء intelligence يرجع إلى الكلمة اللاتينية intelligentia والتى ابتكرها الفيلسوف الرومانى شيشرون ليصف بها كل فرد متميز ولذلك تناوله الفلاسفة فى منهج «التأمل الباطني» أى باختصار شديد دراسة النفس والتى أدت إلى استخدام هذا المنهج فى علم النفس.

ولقد أدت هذه التأملات الباطنية الفلسفية بأفلاطون إلى تقسيم النفس إلى ثلاثة مظاهر رئيسية هى ما تعبر عنه «بالعقل والشهوة والغضب» وصور أفلاطون العلاقة بين هذه المكونات الثلاث فى أسطورة العربة، التى يشبه فيها النفس البشرية بعربة يجرها جوادان ويقودها سائق وأحد الجوادين عريق الأصل سلس القيادة «الإرادة» أما الآخر منها فرديء الطبع جامح غضوب عصبى «الرغبة أو الشهوة» وسائق العربة هو العقل، فالعقل فى نظر أفلاطون هو الذى يقود سلوك الإنسان والمكونان الآخران يزيدانه بالقوة والطاقة لقد اتفق «أرسطو» مع هذا المفهوم الذى أدى إلى التقسيم لقوى النفس التى تعتمد على أهمية الناحية الإدراكية المعرفية فى النشاط العقلى للفرد.

من الواضح أن هذا الطرح اعتمد فى الأساس على إدراك الأشياء ومعرفتها ولكي نرد على هذا الطرح بالقول البسيط والمعروف لدى الجميع الآن بأن إدراك الشيء ومعرفته جزءا من المحصلة: فإن الإدراك الأولى ممنوح لكل الناس بوجود العين والأذن وتزداد العملية الإدراكية للأشياء بزيادة المحصلة وهى تأتى للأفراد بالتعليم والخبرات فكلما زادت المحصلة ازدادت الناحية الإدراكية المعرفية.. فأين الذكاء من هذا ؟ فكل فرد يتفوق على قدر ما حصل من معلومات فى عقله(الناحية الإدراكية المعرفية) وكيف لو أن فردا لم يحصل على علم معين مثل الكيمياء أو الأحياء... إلخ فنقول عليه غبى لأنه لم يدرك هذه المعرفة ولكن هو فى الحقيقة يدرك الأشياء الأخرى ويحصل كثيرا فى علم آخر وليكن «اللغة»، وظهر لنا بنتائج متفوقة فى هذا المجال فنقول عليه «ذكي» على الرغم من أنه صنف من قبل بأنه غبى ولعلك أيها القارئ تلاحظ بأن الفارق بين الفردين لا يعود إلى الذكاء المصطنع والمبتدع من خيال الفلاسفة، ولكن يعود إلى الميول والاستعداد لكل فرد إلى موضوع معين كما عرفته من المناقشة والتحليل السابق.

٣- المفهوم البيولوجي:

جاء هذا المفهوم فى أواخر القرن التاسع عشر بسبب التأثر بنظرية النشوء والارتقاء لداروين وهى أهمية التطور على مدى تكيف النوع وأفراده للبيئة التى يعيشون فى إطارها.

ولذلك وضع «هوبرت سبنسر» نظريته التى تنص على أن الوظيفة الرئيسية للذكاء تهدف إلى تمكين الكائن الحى من التكيف الصحيح مع بيئته المعقدة دائمة التغيير وقد وافق على هذه النظرية كلا من بيرت وسبيرمان واعتبروا أن سبنسر هو أول من استخدم مصطلح الذكاء فى سياق علم النفس مؤكدا أهميته فى النواحى البيولوجية ولذلك اعتقد أن التكيف مع البيئة يمكن الوصول إليه عن طريق الذكاء عند الإنسان وعن طريق الغريزه عند الحيوانات الدنيا. لذلك اعتقد «هولستد» بأهمية الفص الجبهى للدماغ فى ذكاء الفرد وفى مستوى تكيفه للحياة.

وللرد على هذا المفهوم البيولوجى يكون ردا بسيطا موجزا فإذا فكرت قليلا مع نفسك لوجدت أن كل المخلوقات بما فيها الإنسان تستطيع التكيف مع البيئة التى يعيشون فيها مع اختلاف ظروفها لسبب بسيط هو أن الله خلقهم بأدوات وتركيبات فى أجسامهم وليس بالذكاء العقلي. فإذا خلق الله الإنسان فى الأرض على سبيل المثال جعلهم جميعا أن يتكيفون مع هذه البيئة ولا يستثنى فردا من هذا الخلق فيستطيع الطعام والشراب والتناسل والتكاثر والتعلم والدراسة والتفكير والتعقل بمخه فيما يفيده وما يضره وعلى النقيض من ذلك إذا وضعت هذا الإنسان فى البحر مثلاً هل يستطيع أن يعيش فى البحر بذكائه؟ بالطبع لا. ولكن تستطيع الأسماك والكائنات البحرية أن تعيش فى هذه البيئة التى خلقوا فيها لوجود أدوات وتركيبات فى أجسامهم تؤهلهم للعيش فى هذه البيئات المختلفة الظروف والأمثلة

كثيرة وعديدة والتى تظهر قمة التكيف لجميع المخلوقات والكائنات الحية بما فيهم الإنسان.

وللتنوع الكبير وغير المحدود فى المخلوقات والبيئات فهى لا تعد ولاتحصى، فسوف اذكر لكم ما يحضرنا من أمثلة للتوضيح بقدرة الله على وضع القدرة فى التراكيب للمخلوقات لتمكنها من التكيف مع البيئة المتعددة الظروف، مثل الحرباء التى خلقت لتعيش فى البيئة المختلفة الألوان فهى بقدرتها تستطيع تغيير لون جسمها طبقا للون البيئة والذى يساعدها على التخفى من الأعداء. والطائر الذى يستطيع الطير فى السماء والمشى على الأرض ليلتقط رزقه ويعيش ويبيت على الأشجار وهذا كله بالتراكيب للأعضاء المناسبة لهذه المعيشة.

والتمساح والسلحفاة والضفدع باستطاعتها العيش فى البر والماء ومن ثم سميت بالبرمائيات فهى قادرة على العيش والتكيف فى البيئتين المختلفتين تماما.

والقرد كما ذكرت سابقا الذى يعيش فى الغابة التى تعيش فيها أقوى الحيوانات شراسة مثل الأسد والنمر وغيرها، وبالمرونة الفائقة لجسم القرد بمقدوره الهروب من هذه الحيوانات بالسرعة الكبيرة بتسلقه على الأشجار وليبعد عن خطر هذه الحيوانات.

وكما ذكرت فى الجزء العلمى أفراد مملكة النحل والقصص والحكايات بين كل الناس عن مدى قدرة هذه الحشرات على التعاون وقيام أفراد

معينة لوظائف معينة لقضاء حاجاتهم للمعيشة والتكيف بدرجة مثالية فى بيئتهم بالغة الصعوبة فى كون صغر حجمها وكونها مخلوقا بسيطا فيقوم بأعمال بدرجة متقنة يعجز الإنسان نفسه عن أدائها بنفس الكيفية والدقة. وايضا الكائنات الدقيقة والمتناهية الصغر وغير المرئية بالعين المجردة وأمثلتها عديدة، البكتيريا والفيروسات والطفيليات (الديدان المتطفلة) كالبلهارسيا والإسكارس وغيرها، فكل هذه الكائنات تعيش وتتكيف مع بيئات مختلفة الظروف وبمقدورها التغذية والتنفس والحركة والتكاثر بأعداد رهيبة ولكى تحافظ على تواجدها فى الحياة وعدم انقراضها. وأود أن أشير إلى حقيقة علمية من هذا كله بأن الإنسان يأكل ليعيش ولكن الحيوانات والمخلوقات الدقيقة تأكل لتتكاثر لكى تحافظ على وجود نوعها فى الحياة وعدم انقراضها وهذه هى قدرة الخالق لهذه المخلوقات ولكى يوجد «التوازن البيئى البيولوجي» فى الحياة.

ولعلك أيها القارئ من هذا التوضيح المختصر جدا للمفهوم البيولوجى وهو قدرة المخلوقات الحية على التكيف والمعيشة فى الحياة للبقاء والاستمرار بالقدرة التركيبية والمكونات العامة التى منحها الخالق «الله» لها وليس بالمعتقد الخاطئ «الذكاء».

والأهم هو الإنسان ولتوضيح كيفية التكيف والمعيشة فى البيئات المختلفة والمعقدة الظروف ومدى قدرة الإنسان والأفراد على التكيف لتسهيل المعيشة فى البيئات المتعددة الطباع والثقافات والأفكار والديانات

والمعتقدات والسلوكيات فإن كل فرد أو إنسان هدفه أن يعيش فى أحسن صورة فى مجتمعه ليحقق ذاته وبالتكييف البيولوجى فبمقدور أى إنسان بالتركيبات للأعضاء والأجهزة الأكل والشرب والسمع والنظر..... إلخ والتعلم والتحصيل فى المخ (التفكر، التعقل، التذكر) وهذا متاح لكل إنسان من البشرية.

فنجد أن كل الناس بمجتمعاتهم المختلفة وبيئاتهم المتغيرة بمقدورهم التكيف بالعطاءات الممنوحة لهم وأنا أسميها القدرات العامة (الهبات العامة) فهى ممنوحة للجميع والتى تعطيهم (القدرات العامة المكتسبة). ولكن فى بعض الأحيان توجد فروق فردية لأداء التكيف بصورة منقوصة غير كامله وتعود إلى الاختلاف فى اللغات التى تعبر بها للتفاهم مع الآخرين ودون ذلك بمقدرة أى إنسان أن يتنقل ويتحرك من أقرب مكان إلى أبعد مكان فى الكرة الأرضية فهو يستطيع فعل كل الأشياء والتكيف على المعيشة.

ولنعرض عليك مثالاً للتوضيح، هب أن فردا من الأفراد المتحدثين باللغة العربية ذهب إلى بلاد الصين والمتحدثين بلغة صينية مختلفة تماما عن اللغة العربية، فنجد أن هذا الإنسان (الفرد) يجلس بين الصينيين والمتحدثين بلغتهم المختلفة يسمع ولا يفهم وغير قادر على التكيف الكامل مع هؤلاء الصينيين ولكن عندما يتعلم ويدرس ويحصل بعقله اللغة الصينية فنجد بمقدور هذا الفرد العيش والتكيف الكامل مثلهم فهو

يأكل ويشرب ويدرس ويعمل..... إلخ.. فأين الذكاء؟

ولعلك عزيزى القارئ أن تتيقن الحقيقة من تفسير وتوضيح المفهوم البيولوجى وهو قدرة الإنسان على التكييف مع البيئة الذى يعود بالقدرات العامة التى وهبها الله للناس أجمعين ودون استثناء أى فرد ولم يكن للذكاء المفهوم الخاطئ عند بعض علماء البيولوجى ومن بعدهم علماء النفس والاجتماع.

٤- المفهوم الفسيولوجي:

استند هذا المفهوم على التكوين الفسيولوجى التشريحى للجهاز العصبى المركزى بوجه عام، وللقشرة المخية بوجه خاص، فمن العلماء الذين قاموا بإجراء بحوث فى هذا الموضوع «هيجلبنجر» و«شرنجتون» و«بولتون» بعد إجراء بحث على ضعاف العقول والعاديين كما ذكرت فى الجزء العلمى بأنها تعارضت وقوبلت بالنقد والنفى لقولهم ولقد أثرت هذه البحوث الفسيولوجية فى الكثير من علماء النفس فى وجود علاقة متبادلة دقيقة بين الوظائف الخاصة بالعقل والوظائف الخاصة بالجسم، فقال بعضهم أن كل نشاط عقلى يصحبه نشاط فسيولوجى يرتبط به، أوسبب فسيولوجى له، ويميل هؤلاء إلى الأخذ بتعريف فسيولوجى للذكاء، فيعرّفه « ساديفورد» على أنه وظيفة الجهاز العصبى المركزي. وقد انتقد بعض علماء النفس هذه النظرية، لأن النشاط العقلى ليس مرتبطا بالعمليات الفسيولوجية فحسب بل أنه نفس هذه العمليات لقد

عرض بعض العلماء وجهات نظر أخرى ترى وجود موازاة عامة بين العمليات العقلية والعمليات الفسيولوجية ولكنهم لا يقولون بأسبقية أحد النوعين مدللين على ذلك بأن العقل لا يعتمد على كل شيء فى الجسم، وإن العمليات العقلية رغم ما لها من قيمة ذاتية لا تنشأ إلا على النشاط الفسيولوجي، وأنها ليست السبب في وجود هذا النشاط الفسيولوجي.

وقد قوبلت وجهات نظر هؤلاء بانتقاد شديد، ذلك أن العمليات العقلية إذا كانت هى نفسها العمليات المخية.فلن تستطيع أن تشعر بأى عملية من عملياتنا العقلية دون أن تشعر بأى عملية فسيولوجية فى المخ، فى حين أنه من المعروف فى خبرتنا الواقعية غالبا ما نشعر بأفكارنا ورغباتنا دون أن نعرف أقل شيء مما يحدث فى المخ، كذلك فإنه من المحال أن نصف الذكاء بأن نشير إلى الفسيولوجيا ذلك أن ما يقابله من الناحية الفسيولوجية لا يزال أمرا مجهولا كما وضحت فى الجزء العلمى سابقا.

من الملاحظ لنا الآن أن هذا المفهوم الفسيولوجى لم يتفق عليه أحد واعتبروه مجهولا ومحالا إلى الآن، وأقول لهم بأن هذا الأمر «السبب الفسيولوجى للذكاء» سوف يظل وإلى الأبد مجهولا لأنهم يقرنونه بشيء لا وجود له وهو الذكاء. وهذا الاختلاف بين كل العلماء البيولوجيين والنفسيين وتوصلهم إلى هذه النتيجة المحالة والمجهولة خير دليل على عدم وجود ذكاء عقلي، وبهذا المفهوم ساعدونى على طرح فكرتى هذه

«أكذوبة الذكاء» لكن أريد أن أوضح وأؤكد بالرد والتفسير لبعض الأبحاث التى أجريت لهذا المفهوم وهى التى قام بها «بولتون» العالم البيولوجى بأن خلايا القشرة المخية تنقص فى عددها وفى انقسامها وتشعبها وتناسقها عند ضعاف العقول عنه عند العاديين، فمن الواضح أن العالم «بولتون» لم يدرك قاعدة بيولوجية سائدة وهى تشيع بين الناس ألا وهى «العضو المستعمل يكبر وينمو والعضو غير المستعمل يصغر ويضمر».

ومما زاد الأمر تعقيدا بأن يتفق مع «بولتون» العالم شرنجتون الذى قال إن التكوين التشريحى لضعاف العقول لا يبدو فقط فى نقصان عدد الخلايا المخية بل يبدو أيضا فى ضعف الخلايا الجلدية والعظمية والعضلية وكل النواحى التشريحية الأخرى، ومن ذلك يتضح لنا أن هذه النتيجة تتماشى مع القاعدة البيولوجية السابقة لأن المخ هو العضو الذى لم يستعمل ويؤثر بالتبعية فى بقية الأعضاء المرتبطة بوظيفته وهى الجلد والعضلات والعظام.

وأثبت العلم الأحدث بأن بعض العمليات الفسيولوجية تتم فى الحبل الشوكى دون المرور بالمخ كما ذكرت فى الجزء العلمى الذى وضح وفسر المفهوم الفسيولوجى بعدم ارتباطه بالذكاء الذى افترضه علماء الفسيولوجى وعلماء النفس بوجوده فى الإنسان.

الفصل الثانى

المفاهيم النفسية

لقد جاءنا أصحاب هذا الاتجاه لما رأوه من الأبحاث البيولوجية والفسيولوجية التى لم تستطع التوصل إلى فهم حقيقى وتعريف ثابت للذكاء العقلى فاتفق أصحاب هذا الاتجاه على أن الذكاء خاصية عقلية تختلف فى طبيعتها عن خصائص الجهاز العصبى التى يمكن إخضاعها لمناهج بيولوجية (فسيولوجية) ويميلون إلى الأخذ بمنهج التحليل الذى يعتمد على المعالجة الإحصائية (القياسات) أو الاختبارات لمعاملات الارتباط والسبب الرئيسى فى استعمال هذا المنهج فى دراسة نشاط العقل البشرى هو طبيعة النشاط المعقد ومحاولة تحديد العوامل الأساسية التى يرجع إليها.

ولذلك قد حاول الكثير من علماء علم النفس تعريف الذكاء عن طريق الربط بينه وبين ميدان أو أكثر من ميادين النشاط الإنسانى واقتناعهم بفكرة وجود الذكاء فكانت النتيجة لذلك بأن تعددت التعريفات وتنوعت باختلاف الميدان الذى يركز عليه علم النفس.

والواقع أن كل من حاول تعريف الذكاء من علماء النفس عرفه عن طريق مظاهره الخارجية وليس عن العوامل الداخلية، فتعددت التعريفات المختلفة التى اتفق معها البعض وعارضها البعض الآخر وهذا لأن

التعريفات جاءت من وجهات نظر مختلفة متأثرة بالدراسات والأبحاث السابقة التى كانت نتائجها غير مؤدية إلى حقيقة ثابتة لوجود الذكاء.

ولذلك نستطيع أن نلمس الفرق الجوهرى بين وجهة النظر البيولوجية والفسيولوجية من ناحية وبين وجهة النظر السيكولوجية (النفسية) من ناحية أخرى، فبينما تعنى وجهتا النظر الأوليين بالتفسير تعنى الأخرى بالوصف وبينما لا تحاول وجهتا النظر الأوليان أن تعرف الذكـــاء لأن العوامل العضوية ما هى إلا عوامل مؤثرة فى السلوك بوجه عام وليس بالذكاء نفسه، ونجد أن الاتجاه السيكولوجى يعنى بدراسة السلوك ومظاهره المختلفة ولذلك ظهرت التعريفات العديدة للذكاء التى بنيت على أساس العلاقة الوظيفية بين الذكاء وميادين السلوك المختلفة مثل القدرة على التعلم والقدرة على التكيف والقدرة على تكوين علاقات شخصية واجتماعية سليمة، وغيرها من العمليات العقلية المختلفة ومن هذا المنهج لعلماء النفس فى دراسة الذكاء الذى قادهم إلى تعريفات ودراسات لعلها تربط بين الذكاء وهذه الميادين المختلفة من السلوك.

فإننى سوف أتناول بعض السلوكيات الظاهرة لإثباتها بالمنطق الذى يتماشى مع العقل بأنه لا وجود للذكاء العقلى.

١- التعلم:

لقد جاء تعريف «وودرو» للذكاء بأنه القدرة على اكتساب الخبرة وتعريف « كلفين» للذكاء بأنه القدرة على التعلم وتعريف «جـــوادف»

للذكاء بأنه القدرة على الإفادة من الخبرة، ويعرفه «ستيفان سزمان» بأنه مستوى الخبرة العقلية التى يصل إليها الفرد نتيجة لتدريب العقل مقترنة بالقدرة على استخدام الخبرة عند مواجهة مواقف ومشاكل جديدة ويتفق يوسف مراد مع التعريف الأخير للذكاء حيث يعرفه بأنه حدة الفهم الفطرية التى تهىء الإنسان لاكتساب أكبر قدر من المعارف فى أقصر مدة ممكنة، وتستخدم هذه المعارف على أحسن وجه لحل المشاكل الجديدة.

ويغلب على تعريفات الذكاء بأنه القدرة على التعلم، حيث إنه قد كشفت بعض الدراسات أن درجة التعلم لا ترتبط ببعضها ارتباطا مرتفعا، إذا ما اختلفت الموضوعات المتعلمة، فما يفيد عدم وجود قدرة موحدة للتعلم، وهى المراد بها « الذكاء» ولقد ذهبوا لإيجاد تفسير آخر وحاول البعض تفسير القدرة على التعلم بأنها سرعة التعلم إلا أن البحوث أثبتت أيضا أنه لا يوجد عامل واحد تسفر عنه عمليات التحليل العملى، يمكن أن تفسره بسرعة التعلم.

فهذه الاختلافات الكبيرة وبكل الأبحاث التى أثبتت أنه لا توجد قدرة موحدة «الذكاء» على التعلم وأيضا لا يوجد عامل واحد «الذكاء» يفسر سرعة التعلم. فإن هذا التفاوت والاختلاف بين الأفراد المتعلمين لموضوعات مختلفة مثل الرياضيات والكيمياء والأحياء واللغات...... إلـخ ولا يـوجـد عـامـل واحـد للسـرعـة فـى الفهـم

وهذا لأن جميع الأفراد يستطيعون التعلم عن طريق «المحصلة» كما ذكرتها سالفا ولهذه المحصلة أدوات للتحصيل فى المخ ومنها على سبيل المثال البصر لتقرأ والسمع لتسمع واليد لتكتب وتجرى بها تجارب وهذه الأدوات تساعد كل فرد من أفراد المجتمع لحفظ كل المعلومات المحصلة فى المخ ولكل فرد له وسيلته أو أداته المفضلة لتساعده على التحصيل والحفظ أو الاحتفاظ بهذه المعلومات فى مخه أى فى «عقله» وهذه العملية فى استطاعة كل الناس، ولكن عملية الحفظ تتفاوت عند الأفراد فى مدى سرعتها أو بطئها ولكن يمكن تعويضها «بالتكرار» كما ذكرت سابقا أو باستخدام أكثر من أداة من أدوات التحصيل وبهذه الكيفية يصل كل الأفراد لدرجة التساوى فى التحصيل «المحصلة».

وخير مثال واضح لنا جميعا هو تلاميذ الثانوية العامة بحصولهم على درجات متفاوتة والتى تعود إلى درجات المحصلة لكل فرد ولكن عندما تجد أن الآلاف من التلاميذ استطاعوا الوصول إلى الدرجات النهائية أو ما يقرب منها (٩٩ ٪ - ١٠٠ ٪) فى المواد المختلفة الميول للأفراد تعود إلى قمة التحصيل أو أعلى درجات (المحصلة) وليس الذكاء المعتقد عند كافة الناس والذين تأثروا بالنظريات السابقة لعلماء النفس والاجتماع.

ولعلك تتيقن من هذا التوضيح والتفسير بأن التفوق والحصول على الدرجات العالية فى جميع المواد الدراسية المختلفة الاتجاهات والمختلفة

الميول فى تقبلها من التلاميذ، هذا يعود إلى قمة المحصلة لا للذكاء المعتقد بالخطأ بالرغم من أن اختلاف الميول والتقبل للمواد المختلفة فى نوعيتها لا يزال موجودا بين التلاميذ وهو السبب الحقيقى لتواجد «الفروق الفردية» بين التلاميذ.

٢- التفكير المجرد:

ولقد جاء آخرون بتعريفات مختلفة تفيد بأن الذكاء هو القدرة على «التفكير المجرد» وهو القدرة على استعمال المفاهيم للرموز المختلفة للتصرف فى المواقف المختلفة خاصة تلك المواقف التى تتضمن مشاكل يتطلب حلها باستعمال الرموز اللغوية مثل (اللغة) أو الرموز العددية (مثل الرياضيات) ومن أمثلة هذا النوع من التعريفات فى مضمونها بأن الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات كما جاء «لاركس نايت» متفق فى المضمون للتعريفات الثلاثة السابقة وعرف الذكاء بأنه القدرة على اكتشاف الصفات الملائمة للأشياء وعلاقتها ببعضها البعض وهو القدرة على إيجاد أفكار أخرى مناسبة إذا ما عرض لنا غرض أو ظهرت أمامنا مشكلة ولخص «تيرمان» فعرف الذكاء بأنه القدرة على التفكير المجرد.

ولقد قام بعض العلماء بتوجيه النقد لهذه المفاهيم للذكاء بأنه لا يقتصر على ما يطلق عليه أحيانا التفكير المجرد، فالذكاء لا يظهر إلا فى حل المشاكل العقلية الصعبة فقط، بل وفى حل المشاكل العملية التى تواجهها أيضا.

وللرد على هؤلاء جميعا وهو بأن التفكير نشاط عقلى ويوجد عند كل الناس بدون استثناء لأحد ولكن الفرد يوجه تفكيره لموضوعات مختلفة وبقدرة هذا التفكير يتعامل مع كل الفروع المختلفة فى الدراسة ولم يقتصر على اللغة والرياضيات فقط بل يستخدم التفكير فى كل المواد الأخرى مثل الكيمياء والفيزياء والأحياء.... إلخ، وبهذا التفكير يستطيع التفوق فى كل هذه المواد المختلفة وهذا يرجع إلى قدرة التحصيل (المحصلة) وليس للذكاء كما يشاع ولكن نجد بأن الفرد (التلميذ) الذى يتفوق بالتفكير المسموح والمتاح لكل الأفراد، ولكن لا يزال يميل إلى التفكير والتحصيل فى أحد المواد دون غيرها.

٣- القدرة على التوافق الشخصى والاجتماعى:

لقد ذهب بعض العلماء بقولهم وتعريفاتهم التى تفيد بأن التوافق الشخصى والاجتماعى يعود إلى الذكاء، فالفرد قد تواجهه مشكلة معينة يحاول أن يحلها وذلك بالتكيف فى المشكلة بتعديل البيئة أو بتعديل البيئة والفرد معا والمواقف التى يمر بها الفرد تصبح مواقف مشكلة إذا لم تمر بالفرد فى خبراته السابقة الإمكانات والخبرات اللازمة لحلها، وهذا يعنى أن الموقف المشكل موقف جديد بالنسبة للفرد نفسه. فالذكاء يعتبر قدرة عقلية عامة تساعد الفرد على مجابهة المواقف الجديدة وحل المشاكل، إنه القدرة على تغيير الفرد تنظيم أنماط سلوكية حتى يتمكن من مجابهة المواقف الجديدة، وبذلك يكون الشخص الذكى هو الشخص القادر على

أن ينوع من سلوكه ويغيره كلما تغيرت الظروف، بينما يكون الشخص الغبى هو الشخص الذى لا يمكنه تعديل سلوكه إذا ما تغيرت الظروف وعلى سبيل المثال تعريف « بنتر» للذكاء بأنه قدرة الفرد على التكيف بنجاح بالنسبة للعلاقات الجديدة فى الحياة، وتعريف « شترن» بأنه القدرة على التكيف العقلى لمشاكل الحياة وظروفها الجديدة. ولقد جاء أخرون بوجهات نظر أخرى والتى تعارض هذه التعريفات السابقة لأنها جعلت الشخص الذكى فى أى مجال مجتمعى وشخصى باستطاعته حل أى مشكلة تواجهه حتى لو كانت جديدة بالنسبة له.

ولذلك لجأ كثير من علماء النفس إلى تعريف الذكاء من خلال أنه مجموعة متعددة من العمليات أو المشكلات التى يظهر فيها السلوك المتصف بالذكاء وأنه ليس خاصية واحدة ضيقة أو قدرة يمكن قياسها بنوع واحد من الاختبارات بل إنه تنظيم معقد للقدرات العقلية ومن هؤلاء العلماء « بينيه» و « ثورنديك» و «ووكلر» و « ثيرستون» و « سبيرمان» فلقد جاء كل منهم بتعريف للذكاء فيقول «بينيه» أن الذكاء يتألف من قدرات أربع هى (الفهم و التكيف والنقد والابتكار)، أما «ثيرستون» فيقول إن الذكاء هو القدرة على إدراك العلاقات والمتعلقات وهو قدرة فطرية وأما «ووكلر» عرف الذكاء بأنه القدرة على التكيف مع البيئة وخاصة الاجتماعية.

وجاء «ثورنديك» بقوله إن الذكاء هو القدرة على التفكير فى جميع المجالات مما قاده هذا المفهوم إلى تقسيم الذكاء إلى ثلاث ذكاءات وهى الذكاء المجرد والذكاء الاجتماعى والذكاء الميكانيكي.

ولقد اعتقد بعض علماء النفس بالدراسة والبحث أن الذكاء يرثه الفرد عن أبويه وأجداده ولذلك فإن خاصية الذكاء تلازم الشخص طوال حياته، وتعتبر من الصفات الثابتة نسبيا فى شخصية الفرد ومما أدى بهم إلى دراسة « نمو الذكاء» ولكن فى النهاية لهذه الدراسة لم يتفقوا على نمو الذكاء وتوقفه عند سن معين فاعتبروه من ١٥ - ٢٠ سنة وجاء آخرون من علماء النفس يعارضون وجهة النظر هذه وذلك لأن نسبة الذكاء للفرد تظل ثابتة فى مختلف سنين حياته.

وللرد على كل وجهات النظر السابقة وهو بأن كل التعريفات تعارضت معا ولم يتفق أى تعريف مع الآخر، فعندما يقرأ أى قارئ للتعريفات الأولى فهو يرفضها حتى لو كان القارئ البسيط غير الدارس أو المتعلم والتى ترجع ذكاء الشخص لتجعله يحل جميع مشاكل الحياة وحتى الجديدة منها وأن الشخص الغبى لم يستطع حل أى مشكلة تواجهه فى الحياة فبوجهه النظر هذه والتى لا يقبلها العقل والمنطق ولا واقعنا فى أن غالبية الناس يستطيعون حل مشاكلهم بأنفسهم، حتى لو كانوا غير دارسين أو متعلمين ويكفيهم ما يسمعوه ويشاهدوه بعلاقاتهم ببعضهم البعض، فنرى كل فرد فى المجتمع غالبا يستطيع التعامل مع الزملاء والأصحاب

والأصدقاء والأقارب والأسرة وحتى التزاوج لمواجهة حياة وظروف جديدة بتكوين الأسرة، وهكذا.

وأما الرأى الثانى للتعريفات بأن الذكاء متعدد، فقد جاء كل عالم من علماء النفس بتعريف غير الآخر وجميعها متناقضة فمنهم من جعل الذكاء يتألف من أشياء أربع والآخر أعاد الذكاء إلى ثلاثة أنماط وهى **الذكاء المجرد** وناقشته من قبل من وجهة التفكير المجرد وأثبت بعدم وجود ذكاء لأن التفكير للجميع. ومثله **الذكاء الاجتماعى** وهذا يعتمد على سلوك الفرد فى المجتمع وهذا أيضا لا يعود إلى ذكاء عقلي، والدليل على أن غالبية الناس يتعاملون مع بعضهم البعض ويتعايشون بسلوكيات تتماشى مع بيئتهم المجتمعية ويعود التميز بالسلوك الاجتماعى الأمثل إلى القيم والمبادلاء والأخلاق الحسنى من تسامح وتواضع مع بقية الأفراد وهذه الصفات لم يكتسبها الفرد بذكائه كما يشاع ولكن من تربيته وتوعيته ومحصلاته وخبراته من الأسرة والمدرسة فى بداية حياته ومن ثم يكتسب ويتعلم خبرات من تعامله فى مجال عمله والتى بدورها تجعله يستطيع أن يقيم أعظم وأعقد علاقة جديدة وهى الزواج من جنس غيره وأقصد الزواج من الجنس الآخر وهى الزوجة التى تمتلك طباعا مختلفة أو متقاربة من طباعه.ولذلك نستطيع القول بأن هذه العلاقات لا تحتاج لأى قدرة خاصة ولكن يستطيع كل الأفراد القيام بهذه العلاقات المختلفة فى الحياة فأين....... الذكاء ؟

وبالرجوع إلى **الذكاء الميكانيكي**، فهذه المهارة من استخدام الأدوات والآلات الميكانيكية لا يعود إلى ذكاء ولكن يعود للدراسة والخبرة ولكن تفاوتها يعود إلى شيء آخر وهو مدى الميول عند الأفراد لهذه الأعمال. وبقولهم أن الذكاء موجود ويورث من الآباء والأجداد فاتضح بالأبحاث والدراسة ما نشاهده ونسمعه أن هذا الافتراض خاطــئ فإذا صح هذا فيكون الذين خلقهم الله أذكياء سوف يلدون أذكياء وهكذا وإذا بالناس الذين خلقهم الله أغبياء سوف يلدون أغبياء وبهذا الافتراض ذهبوا بعيداً عن الحقيقة الإلهية وهى خلق الناس بالتساوى فى وجود الهبات العامة وإختلاف الميول الخاصة وذلك لعــدم وجــود حجــة للمخلوق عند الخالق، فنرى ونسمع في واقعنا بأن فرد من الأفراد مجتهد ومتفوق فيحكمون عليه باعتقادهم السائد بأنه ذكي وعندما ينجب ابنه نجده مختلفا عنه في التفوق والاجتهاد فأصبح عاديا أو وصف بالغباء والأكثر احتمالا مؤكدا لنا خطأ هذا الاعتقاد وهو أن الأب ينجب ابنه مختل عقلياً (مجنون) فأين الذكاء وأين الوراثة ؟ من هذا الافتراض الذى لا وجود له وهو الذكاء والغباء، الذى جعل كل الناس ينساقون وراء هذا المصطلح الذى ليس له أى شيء من الحقيقة وبهذا العمل غيبوا الناس عن معرفة الحقيقة أو الشيء الحقيقى الذى هو مسئول عن الفروق الفردية للمجتمع. ولكن جاءت كل هذه النظريات للذكاء لتدعم «حركة الليوجينيا» للتفرقة العنصرية والتى سوف نتحدث عنها لاحقا.

الفصل الثالث

الذكاءات المتعددة

فلقد جاء علماء النفس بهذه النظرية (الذكاءات المتعددة) لما وجدوه من عدم صدق وإثبات بأنه يوجد «ذكاء عام» واحد، ولا يوجد مقياس واحد يدل على وجود ذكاء عقلى ولما وجدوه من تفاوت فى القدرات الفردية وتعددها عند مختلف الأفراد، فجاء العالم النفسى الأمريكى «لويس ثيرستون: وأعلن أن الذكاء ليس عاملا واحدا بل مجموعة من العوامل المستقلة ذات الأهمية المتساوية وأطلق عليها اسم «القدرات العقلية الأولية » وحددها ثيرستون بعد دراسة وتحليل نتائج ٥٦ مقياسا فوجدها وحددها بسبع قدرات عقلية أولية وجاء عالم النفس الأمريكى «هوارد غاردنر» بنظريته التى وسعت فى التعريف التقليدى للذكاء فقد لاحظ أن مفاهيم الذكاء كما حددت بالمقاييس العقلية لا يمكن أن تحصر كل الطرق والوسائل والأساليب التى يمكن أن يتفوق فيها البشر على أنفسهم فقرر غاردنر أننا لا نملك ذكاء عاما كامنا واحدا، لكننا نملك ذكاءات متعددة لكل منها نظام مستقل فى الدماغ.

ولذلك حدد «غاردنر» سبع ذكاءات وعرض شخصية ممثلة لكل واحد فيها ولعلك عزيزى القارىء قبل عرض هذه السبع ذكاءات ادعوك بأن تفكر قليلاً فى معنى كل ذكاء فسوف تجد بأن الذكاءات السبع وحتى

لو أضافوا عليها سبعين ذكاء أو أكثر لوجدت بأنه كلما زادوا وأضافوا نوعية ذكاءات، فهم فى الحقيقة يثبتون ويقرون قولى وينفون قولهم جميعاً بوجود ذكاء عقلى فى الإنسان.

فسوف أعرض لك الذكاءات السبع وأيضا الذكاء الثامن المضاف حديثا لغاردنر وكما قلت لو أضافوا أكثر لتوصلوا للحقيقة الإلهية بوجود الهبات الخاصة والمميزة للأفراد وهى لا تعد ولا تحصى.

الذكاءات الثمانية لغاردنر:

١ - **الذكاء اللغوي:** يتضمن القابلية للحديث واللغة ويمثلها الشاعر «إليوت».

٢ - **الذكاء المنطقى - الرياضي:** يتضمن القدرة على التفكير المجرد وحل المسائل المنطقية والرياضية، الفيزيائى «ألبرت أينشتين» مثال جيد عن هذا النوع من الذكاء.

٣ - **الذكاء الحيزي:** يستخدم لإدراك المعلومات الصورية والمكانية وتصوير مفاهيم العالم بوسائل كالفن مثلاً، الفنان «بابلو بيكاسو».

٤ - **الذكاء الموسيقي:** القدرة على أداء وتقدير وفهم الموسيقى يمثلها الملحن «إيغور سترافنسكى».

٥ - **الذكاء الجسدى - الحركى:** القدرة على استخدام جسد الإنسان أو أجزاء منه بنشاطات متنوعة كالرقص، الألعاب الرياضية،

التمثيل، الجراحة، السحر، الراقصة ومصممة الرقصات «مارثا غراهام» وهى مثال واضح.

٦ - **الذكاء التشخيصي:** ويتضمن فهم الآخرين والتعامل معهم على أساس هذا الفهم ويمثله المعالج النفسى «سيجموند فرويد».

٧ - **الذكاء الضيمنشخصى:** وهو القدرة على فهم الذات ومثاله الأبرز «موهنداس غاندى».

٨ - **الذكاء الطبيعى:** القدرة على تمييز وتصنيف النباتات، الحيوانات، المعادن، عالم الطبيعة «تشارلز داروين» هو مثال لهذا النوع من الذكاء.

وقال غاردنر يملك كل شخص جانبا محددا من هذه الذكاءات مع قوة فى نواحى وضعف فى نواحى أخرى ولعلك عزيزى القارئ بأن تلاحظ من هذه النقاط المختلفة فى الاتجاهات والموضوعات والتى أفرزت أشخاصا بعينهم وتميزهم وإبداعهم دون الآخرين فهذا يعود للهبة الخاصة (الميول الخاصة) للأشخاص والذى كان السبب الرئيسى فى تميزهم وليس «الذكاء المعتقد» عند أصحاب النظريات. ولتعدد الموضوعات فى الحياة تعددت القدرات عند الناس فكانت خير دليل على ما أقوله وهو تعدد الهبات الخاصة إلى ما لا نهاية ولا تعد ولا تحصى.

ولقد جاء عالم النفس الأمريكى «روبرت ستيرنبرج» معارضا لهذه النظرية لغاردنر فى أن الذكاء يتألف من ثلاث نواحى أساسية (الذكاء التحليلي، الإبداعي، والعملى) وتعتبر هذه المجموعة أجزاء مرتبطة من نظام واحد، وليست ذكاءات منفصلة كما فى نظرية غاردنر، وبذلك حدث توافق بين بعض العلماء الذين جاءونا بالنظريات التقليدية حول الذكاء العام، فهم بذلك أعادونا إلى النقطة الأولى وهى الذكاء العام ولذلك ظهرت من جديد بعض النظريات فى السنوات الأخيرة، وجود ذكاء أطلق عليه «**الذكاء العاطفي**» والذى يعتبر مكملا للذكاء المقاس بالحاصل الذكائى (٠، ١٠) عرف العالمان الأمريكيان «بيتر سالوف» «وجون ماير» فى عام ١٩٩٠ بأن الذكاء العاطفى: هو القدرة على ملاحظة ووعى وفهم وتعديل والتعبير عن المشاعر والعواطف وقام الكاتب والصحفى الأمريكى «دانييل جولمان» بنشر هذا المفهوم على صعيد شعبى فى كتابة «الذكاء العاطفى» الذى صدر عام ١٩٩٥ وقد وسعه ليشمل المقدرة الاجتماعية العامة.

ولعلك عزيزى القارئ من هذا التعارض الشديد والاختلاف المتباين فى وجهات النظر التى ذهبت بالناس إلى نقطة بعيدة وهمية وأعادت بالناس مرة أخرى إلى نقطة البداية التى بنيت على كلمة الذكاء الوهمية ومصطلح من صنع المخلوق وإلى الآن وباعترافهم لم يصلوا إلى أى شيء يفيد الناس بالتفاوت فى القدرات عند الناس، بل غيبوا معظم الناس

للوصول ومعرفة الحقيقة الغائبة وهى الهبة الخاصة أى الميول الخاصة لكل إنسان فى الحياة.

وباستمرار هذا المفهوم القديم والذى لم يتغير منذ ستين عاما تقريبا، قام علماء النفس بدراسة بحوث لإيجاد أى تفسير يعطيهم دليلا حقيقيا على التفاوت الملحوظ بين أفراد أى مجتمع بعد كل الدراسات ووجهات النظر المختلفة والتى لم تؤدى إلى أى اتفاق على ما هو السبب أو الأسباب التى تعود لها «الفروق الفردية» التى لا زالت موجودة بين الأفراد ولذلك اتجهوا إلى دراسة كل الظروف والمؤثرات التى تحيط بالأفراد فى المجتمعات المختلفة، ولأن هذه الفروق الفردية تعتبر ظاهرة شائعة بين الناس، فالناس يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا فى النواحى الجسمية والعقلية والشخصية وهذه الفروق مهمة فى كل مجال من مجالات الحياة، فى العمل وفى الأسرة وفى المجتمع، وكما هى مهمة فى مجال التربية والتعليم.

والواضح الآن بأن هذه الدراسة من أهم الدراسات فى حياة المجتمعات ومن ثم ذهب علماء النفس والباحثون بدراسة هذه الظاهرة والتى تتبع «علم النفس الفارق» ومن وجهة نظرى بأن هذا العلم الراقى والمفيد لكل المجتمعات ولقد أضاف لى الكثير، بالرغم من أن هؤلاء العلماء عرضوا وفسروا أشياء كثيرة تؤدى إلى الفروق الفردية مثل تأثير البيئات الاجتماعية التى يعيش فى سياقها الأفراد على شخصياتهم، مما يترتب على ذلك من نمو فى تلك الفروق.

ولكن لا أتفق معهم بأن من أهم العوامل المسببة للفروق الفردية هو الذكاء، ولكن عندما يقومون بنفس الدراسات بدون هذا المصطلح والذى ناقشته سالفا مدللا بعدم وجوده فى الإنسان، لوجدوا أهمية دراستهم للحياة كاملة بميادينها المختلفة وبهذا المفهوم الجديد (الميول) سوف يقدمون لنا دراسات تفيد جميع مجالات الحياة وخاصة مجال التربية والتعليم.

فبهذا المفهوم الجديد سوف يمحو وينهى على الاختلافات فى وجهات النظر المتباينة والتى لم تصل بهم إلى اتفاق ما هو السبب الرئيسى فى الفروقات الفردية والتى كانت بدورها تجعل كل الناس خاصة التلاميذ وطلاب الجامعات يلهثون وراء تحقيق هذه الصفة والشائعة بالخطأ وهى الذكاء المؤدى للإبداع وتحقيق الذات، بذهابهم إلى كليات القمة، ويتخرجون عاديين غير محققين شيئا حتى ولو أصبحوا معيدين وأساتذة بالكليات يظلون عاديين وغير مبدعين.

خريجون عاديون:

وللتوضيح وتفسير ما هو السبب الذى جعل غالبية الخريجين عاديين وغير مبدعين بشرح المثال السابق بالتفصيل، وهو حصول تلاميذ الثانوية العامة على الدرجات النهائية فى معظم المـــاد الدراسية أوجميعها فأصبحـــت كل الكليات المختلفة متاحة لهم بسبب تفوقهم وحصولهم على أعلى الدرجات، ومن ثم يذهب معظمهم إلى كليات القمة الطب والهندسة وغيرها طبقا لمجموعهم والتنسيق والعامل الأهم وهو الثقافة الفكرية

للمجتمع التى تغلغلت وزرعت فى نفوس كل الناس من أولياء أمور وتلاميذ ونظرة المجتمع بأكمله فى كون أن هذه الكليات ووضعها أفضل الكليات فى المجتمع لتحقيق الوضع الاجتماعى والكسب المادى (الأموال) وبهذه الثقافة المتخلفة التى سادت فى المجتمع المصرى خاصة والمجتمع العربى عامة، والذى بدورها انعدم ظهور المواهب والإبداع بالرغم من أن هؤلاء التلاميذ متميزون بقوة التحصيل الدراسى لأى علم فى الحياة، وبهذه الثقافة والمفهوم المتخلف ألغى شيء مهم بل والأهم للإبداع والابتكار وهو الميول والتقبل لدراسة شيء معين ومحدد فى نوعيته فى كل هذه المواد الدراسية، وهذا هو **الخطأ الأول** بتغيير المسار فى أول الطريق بعدم اتجاه التلاميذ وراء ميولهم (قدراتهم) التى أعطاها الله لهم وهب أن بعض التلاميذ توجهوا وذهبوا إلى كليات القمة وهم راغبون طبقا للميول النفسى لكليه الطب أو الهندسة فذهب من كان ميوله (هبته) لمادة الأحياء البيولوجى إلى كلية الطب، وذهب من كان ميوله الحقيقية فى مادة الرياضيات إلى كلية الهندسة فنجدهم أيضا قد ذهبوا إلى الأقسام التى تجعلهم يكسبون مالا أكثر وهذا هو **الخطأ الثانى** متأثرا بثقافة المجتمع وهى من يكسب مالا أكثر.

وهب أيضا بأن بعض التلاميذ ذهبوا إلى القسم الذى يجدون فيه ميولهم وتقبلهم للمواد التى تدرس فيه، فسوف يقابله عوامل أخرى وثقافة فكرية أخرى من أساتذته بالقسم بإجباره على الذهاب إلى شعبة غير مطابقة لميوله

لنوعية المواد التى تدرس بتلك الشعبة فهو فى الحقيقة أجبر إما باللوائح والتنسيق الداخلى للقسم لدراسة موضوعات عكس ميولهم وهذا هو **الخطأ الثالث.**

وهب بأن هؤلاء التلاميذ ذهبوا إلى الكلية والقسم والشعبة طبقا لميولهم وتقبلهم للمواد التى يقومون بدراستها وتخرجوا وأصبحوا معيدين بالكلية فنجد بأن هؤلاء المعيدين يواجهون الغربة والصدمة الأخيرة فى حياتهم الدراسية بأن يتوجهوا طبقا للوائح الموجودة والتى تكفى حاجات القسم من نقاط أو موضوعات بحثية طبقا لما يراه الأساتذة ولم يكن بميول المعيد وهذا هو **الخطأ الرابع** وقبل المعيد مجبرا على نوعية الموضوع لإجراء الأبحاث للماجستير والدكتوراه، فيستطيع المعيد بقدرة المحصلة والجد والاجتهاد يحصل على درجة الدكتوراه ويصبح دكتورا جامعيا عاديا مثله كأى دكتور وحتى يصل إلى درجة أستاذ فى علم من العلوم وبمقولة شائعة وحقيقية وهى (تحصيل حاصل) «وأصبحوا عاديين غير مبدعين» ونلاحظ من هذا المثل الذى فسر لنا بعدم وجود مبدعين أو مبتكرين بسبب ثقافة المجتمع الخاطئة والتى تلهث وراء «الوضع الاجتماعي» «وجمع المال» والتى زرعت فى النفوس كلها وخاصة التلاميذ وبكلمة الذكاء الوهمية والمصطنعة والتي لم نجد لها أى أثر فى المثل الذى عرضناه وكله كان (تحصيل حاصل) أى بقوة المحصلة، ولكن كان الضرر الكبير من هذا المفهوم لكلمة الذكاء والثقافة المجتمعية التى أدت إلى إغفال الناس

وخاصة التلاميذ عن الشيء الحقيقى ولعدم معرفته للمعنى الكامن والخفى والموجود فى كل فرد أو تلميذ والمؤدى للإبداع وهو الميول أو الاستعداد أو القدرة الخاصة (الهبة الخاصة) التى وهبها الله لنا جميعا.

وبعد هذا التوضيح بأنه لا يوجد ذكاء عقلى بالمخ وبالأدلة التى قدمتها والتى جاءت بالرد على نظرياتهم وتحليل مفاهيمهم التى كانت مختلفة ومتعارضة ولم تصل بنا إلى أى شيء يفيد فى التميز والفروق الفردية. والأكثر من هذا أن المخ غير مسئول عن الابداع والابتكار.

ولذلك فمن المهم أن نعرض ونتعرف على الفروق الفردية والتى هى الأساس لموضوع الكتاب وماهو السبب الحقيقى فى وجود هذه الفروق الفردية المؤدية للإبداع والابتكار.

الفصل الرابع

الفروق الفردية

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق الخلق جميعا ونثر عليهم من نعمه وهباته، جاء كل واحد منهم مختلفا عن الآخر لا يشابهه ولا يطابقه، وقد أكد الله سبحانه هذا الاختلاف ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾. وهذا التفضيل قد يكون بالجسم أو بالعلم أو بطريقة التفكير أو بالأمور المادية. قال الله حكاية عن طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [سورة البقرة الآية: ٢٤٧].

لذلك حرص الإسلام على مخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى مقدارما يستوعبون ويفهمون؛ فورد فى صحيح الإمام مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة». وورد عن على رضى الله عنه: «حدثوا الناس بما يعقلون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟». ومعنى هذا الكلام كله أن الإسلام أقر بالفروق الفردية بين الأشخاص والأفراد، أو بمعنى آخر أقر مبدأ الاهتمامات المختلفة، فما أهتم به أنا ليس بالضرورة أن تهتم به أنت, وما يهتم به ولدى هو غير الذى أهتم به أنا.. وهكذا.

وفى العملية التعليمية يلاحظ أن تلاميذ الفصل الواحد رغم تقاربهم فى السن، يختلف بعضهم عن البعض الآخر فى كثير من الصفات الجسمية كالطول والحجم، واعتدال القامة، وهذه الاختلافات تبدو واضحة، وهى بالضرورة تدفع المعلم على اتخاذ موقف معين بإزائها، فقد يعيد تنظيم مقاعد التلاميذ، بحيث يجلس فى الصفوف الأولى قصار القامة وضعاف البصر، بينما يجلس فى الصفوف الأخيرة طوال القامة حتى لا يحجب السبورة طويل القامة عن غيره من التلاميذ وقد ينصح بعض التلاميذ باستخدام نظارة طبية، أو يقوم بتحويل أحدهم إلى الصحة المدرسية ليعالج من مرض طارئ أو ألم مفاجئ يشكو منه.

فالتلاميذ فى الفصل الدراسى الواحد ليسوا متجانسين ولا متساوين فيما يملكونه من صفات وخصائص، رغم أنهم متقاربون فى أعمارهم الزمنية، وهذه الفروق أمر طبيعي بين الأفراد، وظاهرة عامة بين جميع الكائنات الحية فلا يوجد تطابق تام بين فردين حتى ولو كانا توأمين.

إذن.. فالفروق الفردية ظاهرة عامة فى جميع الكائنات، وهى سنة من سنن الله فى خلقه، فأفراد النوع الواحد يختلفون فيما بينهم، فلا يوجد فردان متشابهان فى استجابة كل منهما لموقف واحد، وهذا الاختلاف والتمايز بين الأفراد أعطى للحياة معنى، وجعل للفروق الفردية أهمية فى تحديد وظائف الأفراد، وهذا يعنى أنه لو تساوى جميع الأفراد فى

أى صفة – على سبيل المثال– فلن يصبح هناك صفة تميز فردا عن آخر، وبذلك لا يصلح جميع الأفراد إلا لمهنة واحدة.

وتعد الفروق الفردية ركيزة أساسية فى تحديد المستويات العقلية والأدائية الراهنة والمستقبلية للأفراد، ولذلك فقد أصبحت الاختبارات العقلية وسيلة مهمة تهدف إلى دراسة احتمالات النجاح أو الفشل العقلى فى فترة زمنية لاحقة.

أما عن الفروق الفردية فى الشخصية، فنجد أن كل إنسان متميز بذاته، ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا اختلف عن الآخرين. وقد اقترح البعض فى كتاباتهم عن القدرات العقلية تعريفا للشخصية فى إطار الفروق الفردية، حيث وصفوا الشخصية بأنها «البنية الكلية الفريدة للسمات التى تميز الشخص عن غيره من الأفراد» وتعتمد مقاييس الشخصية على ظاهرة الفروق الفردية فى الكشف عن العوامل الرئيسة التى تحدد نجاح الأفراد، حيث إن النجاح يمتد فى أبعاده ليشمل كل مكونات الشخصية، فى تفردها من فرد إلى آخر.

ومفهوم الفروق الفردية وأهمية اكتشافها فى العملية التعليمية: يعرف البعض الفروق الفردية بأنه (الانحرافات الفردية عن المتوسط الجماعى فى الصفات المختلفة).

كما أنها (تلك الصفات التى يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواءً كانت تلك الصفة جسمية أم فى سلوكه الاجتماعي).

ولعل أشهر هذه الفروق تبدو فى الصفات الجسمية كالطول والوزن ونغمة الصوت وهيئة الجسم وهذه الفروق الجسمية تطفو على السطح فنشاهدها وهناك أيضا فروق كثيرة فى النواحى الإدراكية والانفعالية

ولا يستطيع إنسان واحد مهما أوتى أن يستغنى عن غيره من الأفراد، إنهم يتعاونون فى بناء حياة إنسانية سليمة فردية اجتماعية فإن إهمال ما بين الأفراد من الفروق له أثره السيئ بالفرد نفسه أو بالمجتمع الذى يعيش فيه وتتجلى هذه الأهمية بما يلى:

أهمية الفروق الفردية:

١ - **أهمية التنشئة والتربية:** فرعاية الفروق الفردية من أسس الصحة النفسية والتربية السليمة التى تقوم على الاعتراف بالفردية وأهمية كشفها وحسن استغلالها وتوجيهها إلى أقصى الحدود الممكنة لتكامل الحياة ونجاحها، فالتربية السليمة تعتبر كل فرد غاية ووسيلة فى حد ذاته ويجب أن تستغل مواهبه لتحقيق مبدأ التكامل والتضامن.

٢ - **أهميتها فى الإعداد المهنى والوظيفى للحياة:** إن الفرد يحمل استعداد النوع من الأعمال دون غيرها والحياة تتطلب أنواعا مختلفة من العمل والكفاءات يتمم بعضها بعضا لتكون مجتمعا متضامنا. وهذا يقتضى كشف تلك الفروق بين الأفراد وإعداد الظروف والعوامل المساعدة على نموه فالفروق الفطرية والمكتسبة هى إمكانيات هائلة للإعداد المهنى والتطور فى جميع الأعمال وبذلك يوضع الفرد المناسب فى العمل المناسب له.

٣ ـ **أهمية خلقية:** إذ أن معرفة الفروق بين الأفراد تساعد على فهم الآخرين وإلقاء الضوء على كثير من تصرفاتهم فلا يجوز للإنسان أن يطلب من كل إنسان أن يعامله نفس المعاملة فلكل فرد أسلوبه الخاص فى التعبير الانفعالى وأداء السلوك أهمية ذاتية، فمعرفة الفروق الفردية تساعد الفرد على تفهم نفسه واستغلال مواهبه ومعرفة إمكاناته ولعل الإنسان ولا سيما فى مراحل الرشد والنضج، إذا كان مثقفا يستطيع أن يفهم كثيراً من إمكانياته وأن يسعى لاستغلالها بطريقة إيجابية يضمن بها النجاح. وترجع أسباب الفروق الفردية وتفاعلاتها إلى عاملين أساسيين هما:

(أ) **عامل الوراثة والاستعداد الفطرى:** ويشمل الجسم وأجهزته وحواسه وأعصابه وغدده وهذا عموما ينقل صفاته الأساسية من الأصل إلى النسل ومن الآباء إلى الأبناء حسب قوانين علم الوراثة فى أعضاء الجسم ووظائفها.

(ب) **عامل البيئة الاجتماعية:** ويشمل المنزل والأسرة والمدرسة والأصدقاء والمؤسسات التربوية والاجتماعية والإعلامية والمهنية والعملية.

هذه العوامل تفاعل، بمعنى آخر أن أحدهما يؤثر فى الآخر ويتأثر فمثلا الاستعداد للكلام هو وراثى فطرى ولكن لابد من تكلم الإنسان من بيئة الإنسانية للتكلم، فلو نشأ طفل بين حيوانات لشب عاجزا عن الكلام الإنسانى بل هى أصوات حيوانية بدائية وإذا عاش الإنسان فى بيئة إنسانية يتكلم نوعية اللغة الخاصة.

ولقد قدم علماء النفس والاجتماع فى علم(الفروق الفردية) موضوعات ودراسات عالية الأهمية والدقة فى اظهار هذه الفروق بدراسة السلوك الظاهرى وعلاقته بالنواحى النفسية الباطنية التى كانت لها دور فاعلا ومفيدا فى تقويم الناس عامة والتلاميذ خاصة باكتسابهم بعض القدرات العامة التى ساعدتهم على النجاح والتفوق البارع ولكن ما زالوا عاديين وغير مبتكرين وهذا بسبب أنهم جعلوا الذكاء العامل الرئيسى للتفاوت فى الفروق الفردية.

وأرى أنه من المهم أن أوضح لك نشأة معتقد كلمة الذكاء من أين أتت ومن هم الأشخاص الذين اعتقدوا بهذا الذكاء وجعله المحك الرئيسى لحركة تسمى (اليوجينيا) وجاءت وراء قناع لما لها من هدف خفي، فسوف أكشف القناع لإظهار الجوهر الحقيقى «الخفى» لاصطناع مصطلح الذكاء الذى جعلوه العامل القوى للتميز والتمييز أى «التفرقة العنصرية» وليتضح لك أكثر وتتأكد من أن كلمة الذكاء جاءت لهذه التفرقة والبعد عن الحقيقة فلقد جاء «السير فرانسيس جالتون» عالم الاجتماع الذى صاغ مصطلح «اليوجينيا» فى عام ١٨٨٣ م والتى سميت بحركه اليوجينيا وسوف أوضحها كالتالي.

الفصل الخامس

حركة اليوجينيا

حيث رأى السير فرانسيس جالتون Galton أن التطور الصحيح للجنس البشرى قد انحرف، فقد قادت نزعة الخير لدى الأثرياء وإنسانيتهم إلى تشجيع «غير الصـــالحين» على الإنجاب، الأمر الذى أفسد آلية (الانتخاب الطبيعي) ومن ثم أصبح جنس البشر فى حاجة إلى نوع من (الانتخاب الاصطناعي). كان يعنى علم تحسين الإنسان عن طريق منح السلالات الأكثر صلاحية فرصة أفضل للتكاثر السريع، مقارنة بالسلالات الأقل صلاحية.

اليوجينيا والتفرقة العنصرية:

وجاء جالتون بهذا الفكر استبدال الانتخاب الصناعى بالانتخاب الطبيعي، فإن جوهر التطور هو الانتخاب الطبيعي، وجوهر «اليوجينيا» هو أن تستبدل بالانتخاب الطبيعى انتخابا اصطناعيا واعيا بهدف الإسراع من تطوير الصفات المرغوبة (الذكاء) والتخلص من الصفات غير المرغوبة (الغباء). بمعنى أن تشكل الأجيال القادمة على حساب الأجيال المعاصرة. والغرض الخفى (التمـــيز العنصـــرى) إذاً هناك من البشر من هم أفضل من غيرهم من يستحقون أن ينجبوا أكثر من الآخرين وأن يمثلوا فى الجيل التالى بنسبة تفوق نسبتهم فى الجيل الحالي، وقد

يتم ذلك بزيادة نسل من يستحقون (اليوجينيا الإيجابية) أو بتقليل نسل من لا يستحقون (اليوجينيا السلبية) إن التحوير المتعمد لجنس البشر لأهداف اجتماعية هو ما تطمح إليه اليوجينيا. وعندما يتغلب الإنسان على تطوره البيولوجى فسيكون قد وضع الأساس للتغلب على كل شيء آخر. سيصبح الكون أخيرا طوع بنانه أى تحت تصرفه كما قال معتنقو فكرة «اليوجينيا».

ولقد ذاعت وانتشرت حركة اليوجينيا فى أوائل القرن العشرين فى أوروبا وأمريكا عندما كان علم الوراثة فى بدايته وانضم إليها وتعاطف معها الكثيرون من كبار المفكرين والعلماء والساسة والفلاسفة ورجال المال، وهم: (برتراند راسل، ج. د برنال، جوليان هكسلي، رونالد فيشر، برناردشو هافولك إليس، د.ه لورانس، الدوز هكسلى، ه.ج ويلز، روزفلت، تشرشل، جون روكفيلر، هتلر، اينشتين).

وخلقت اليوجينيا تيارا عارما قويا يبرزها ويحرسها ويدافع عنها ويشرع لها، واجتاحت أوروبا وأمريكا وأصبحت ديناً ومعتقدا شديد الاعتقاد كرست نفسها لتأكيد أن الناس لم يخلقوا سواسية وكانت أوروبا فى القرن الثامن عشر قد سيطرت بالأسلحة وبالمفاوضات وبالقوة وبالخداع على إفريقيا، ثم آسيا ثم أمريكا، وبقيت مسيطرة دهرا طويلا، حتى اعتبرت نفسها سيدة العالم وأن بقية البشر (الفقراء والأغبياء) إنما خلقوا من أجلها أى من أجل الرجل الأبيض الذكى وصحيح البدن، إن

شأن الشعوب شان الأفراد لم تخلق سواسية بهذا المفهوم الأوروبى والذى أقره (كارل بريجهام) سنة ١٩٢٣م أن السود فى أمريكا يشكلون نسبة من ضعاف العقول تزيد نسبتهم فى المجتمع، وكان أصحاب النظريات فى الذكاء الاجتماعى فى القرن التاسع عشر وعلى رأسهم (هوبرت سبنسر) وهو من أوائل معتنقى اليوجينيا وهو من علماء التربية فى أوروبا قد أكدوا أن الفقراء الأغبياء بطبيعتهم لا يستحقون العيش وأن الواجب أن لا نشجع بقاءهم أو بقاء نسلهم وعلى عكس «داروين» الذى يقول إن الأصلح هو الذى يترك نسلا أكثر ستجد اليوجينيين ومنهم سبنسر أول من جعل الذكاء الصفة الأصلح للإنسان والتى بها يمكنه التكيف مع البيئة فهم جميعا يرون أن الأصلح هو المتميز فى الذكاء والصحة والأخلاق الحميدة ولك أن تلاحظ من توضيح فكرة اليوجينيا التى بنيت على الذكاء الذى يوجد فى الإنسان الأوروبى صاحب البشرة البيضاء ولم تكن موجودة فى الفقراء أصحاب البشرة غير البيضاء (السوداء).

الهدف الخفى للذكاء واليوجينيين:

وجاء علماء النفس والاجتماع والمفكرون الأوروبيون وهم أصحاب البشرة البيضاء والذين وصفوا أنفسهم بالذكاء، وقاموا بتأليف النظريات والمفاهيم المختلفة للذكاء لترسيخ معتقد اليوجينيا وليكون الذكاء مدخلا جديدا لتحويل أنماط الحياة والثقافة لسكان العالم الثالث الفقير والمتخلف كى يتوافق أكثر مع نظرة الغرب المتحرر نحو الجنس والتكاثر ولينظر العالم الثالث

للأوربيين بأنهم هم المتقدمون والمتطورون بالذكاء الذين وصفوا أنفسهم به ولكى يعتقد العالم الثالث بأن الذكاء هو السبب الحقيقى وراء التميز والإبداع والابتكار فهم بذلك أثروا على ثقافة وفكر العالم الثالث بكلمة ومصطلح وهمى لا وجود له والذى هدم طريقة التعليم وجعله لا فائدة له لأنه لم يثمر عن إبداع ولا تميز بسبب اللهث وراء كلمة وهمية من اصطناع الغرب معظم الناس من العالم الثالث ولكى يتعلموا وكأنهم لم يتعلموا، فأصبحوا متلقون العلم والفكر وناقلوه فقط للأجيال وهذا بسبب أن معظم الناس يتعلمون ويحصلون من مواد دراسية على عكس ميولهم، أو هباتهم الخاصة التى غابت عنهم بسبب المصطلح الوهمى الذى زاد من «التفرقة العنصرية» بين الأفراد والمجتمعات من العالم الثالث، وهذا الفكر الغربى يزداد يوما بعد يوم، فأنت تلاحظه بدخول عصر المعلومات والاتصالات وهذا ينصب اهتمامه على المهارات النادرة ولذلك يتطلب التخلى عن سياسة تعليم الجماهير والاكتفاء بتعلم الصفوة والمقصود بالصفوة هم الأوروبيون معتقدو اليوجينيا فسيؤول الأمر إلى حكم القلة اليوجينية الذى يسقط الحاجة إلى ترف التعليم للجماهير ويعمل على تشجيع التعليم الخلاق اللازم للتقدم العلمى والتكنولوجي. ولقد قالها اليوجينى «الدوس هكسلي» عام ١٩٣٤ م أن تعليم الجماهير الفقيرة قد خلق طبقة عريضة يمكن أن نسميها طبقة «الأغبياء الجدد» و «اليوجينيا» ضد الأغبياء بل لقد طالب «د.ه لورانس» بإغلاق كل المدارس فوراً:

إن معظم البشر لا يجب أن يتعلموا القراءة والكتابة، لأن أشباح المجاعة والمرض والحرب كما يقول جورج مور ١٨٨٨ هى أمور أخف وطأة مقارنة بالخطر الذى يتوعدها من تعليم الجماهير الفقيرة ويتوعد النخبة البريطانية بالطبع، ولقد قام اليوجينيين وأصحاب نظريات الذكاء بربط الجينات الوراثية بالصفات السلوكية وبالذكاء فقاموا بوهم معظم الناس بأنهم قادرون على اصطناع إنسان ذكى فى معاملهم ليغيبوا غالبية الناس غير المتعلمة أو حتى بعض المتعلمين عن معرفة الحقيقة الإلهية للخالق الناس وجعلهم متساوين فى كل شيء.

فإننى أردت نقل هذا الفكر اليوجينى والمحك الرئيسى لها هو المصطلح الوهمى «الذكاء» لكى يتضح لك بأن هذه الفكرة نشأت منذ أواخر القرن الثامن العشر لتنقله إلى العالم الثالث ويتناقله جيل بعد جيل ليغير وقد غير بالفعل ثقافتنا الفكرية والتى جعلتنا بهذا الموروث الثقافى لكلمة الذكاء الوهمية أن نفرق بيننا بهذا ذكى والآخر غبى وهذا دكتور ومهندس وأساتذة الجامعات أذكياء والمهن والحرف والوظائف الأخرى أقل فى وجود الذكاء أو تصل هذه الفئات بوصفهم أغبياء.

وعندما تفكر قليلا ماذا فعلوا هذه الفئات لوصفهم بالأذكياء، فنجدهم عاديين ومحصلين ممتازين للعلوم الغربية وناقلين جيدين وكأنهم يدورون فى حلقة مفرغة.

ولك أن تلاحظ أن من طالبوا من الأوروبيين بعدم التعلم وغلق المدارس أمام الفقراء والجماهير من العالم الثالث.نجحوا وبطريقة شيطانية وهذا لأن التعليم فى العالم العربى خاصة والعالم الثالث عامة لم يثمر عن أى مبدع ولا مبتكر وأصبح التعليم مضيعة للوقت وصرف الأموال دون أدنى فائدة، وهذا التخلف بسبب الثقافة الفكرية الخاطئة والتى بنيت على أفكار لأشخاص يعتبروننا فقراء وأغبياء ولا نستحق المعيشة.

ولك أن تلاحظ بأن طريقتهم فى التعليم تتم طبقا للميول وهذا عكس مجتمعات العالم الثالث وأيضا تجد أن ثقافتهم الفكرية وهى عدم التفرقة بين الفئات فى المجتمع وهذا عكس ثقافتنا الفكرية التى تفرق بين الفئات فى المجتمع.

وعندما نفكر قليلا ونعود بالذاكرة الى الوقت والزمن الذى جاء لنا بحركة (اليوجينيا) منذ أكثر من قرن ويعانى الجنس الأسود من هذه (التفرقة العنصرية) ولكن سبحان الله تدور الدوائر ويظهر لنا خالق هذا الكون بأننا متساوون وأن الله هو القادر على عمل التوازن البيولوجى بين جميع الكائنات الحية بمن فيها الإنسان الأسود والأبيض.

فجاء لنا الرد القوى والحجة والآية الكونية لنلاحظها ونشاهدها بأعيننا لنتيقن من خطأ الذين اعتنقوا اليوجينيا للتفرقة العنصرية، فجاءت لنا أقوى آية وظاهره لندركها إلا وهى (الأسود يسود) عكس مازعم به أصحاب البشرة البيضاء والذين وصفوا أنفسهم بالذكاء وبأن السود أغبياء وسوف أوضح لك عزيزى القارئ هذه الظاهرة.

الأسود يسود

لقد رأيت أن أعرض لك هذه الظاهرة لتأخذها عبرة بأن كل على درجة متساوية عندالله ولايوجد ذكاء أو غباء ولا أبيض ولا أسود. ولكن تتم المفاضلة والحساب عند الله بالتقوى والعمل الصالح.

ولعلك تلاحظ معى أن بداية هذه الظاهرة بتفوق الجنس الأسود فى فى معظم ميادين الحياة بل فى كل ميادين الحياة فتجدهم قد برعوا فى الرياضة بما أعطاهم الخالق من قوة بدنية والهبة الخاصة وفى الفن تجدهم فى الصفوف الأولى، وهم النجوم لأعظم مدينه للسينما وهى هوليود وفى المصارعة والملاكمة أبطال العالم هم السود وإذا تطرقنا أكثر سنتكلم عن الأسود فى كل الميادين.

وظهر لنا الأسود متميزا فى العمل السياسى وعلى سبيل المثال (كولن باول.وغاندي. ومانديلا وكوندليزا ريس). وغيرهم من السود كثير.

وبدا واضحا لكل الناس عامة والذين اعتقدوا بأننا غير متساوين خاصة بأننا رأينا بأعيننا القيادة والوصول إلى أعلى المناصب القيادية فى العالم (البيت الأبيض) ورئاسة أمريكا لرجل أسود وزوجته السوداء وهو الرئيس (باراك اوباما) وهو من أصل إفريقى ووالده يدين بالدين الإسلامى، فأصبح قائدا ورئيس أكبر دولة فى العالم ويقوم بالعمل لديه أصحاب البشرة البيضاء وأصبح السود هم أسياد العالم ولم يكونوا أغبياء كما وصفوا من قبل فأين غباء الأسود وذكاء الأبيض؟

فلك أن تلاحظ عزيزى القارئ بأن الرد جاء قويا من الله للناس أجمعين عامة الذين اعتنقوا فكر اليوجينيا، خاصة الذين اعتبروا الذكاء العقلى هو المحك الرئيسى لحركتهم وهى التفرقة العنصرية بين الأبيض والأسود.

ولكن تبدلت الأدوار وأصبح صاحب البشرة البيضاء هو من يخدم صاحب البشرة السوداء وبذلك (الأسود يسود) وسبحان الله

فلعلك يا عزيزى القارئ أن تكون تيقنت ماذا يفعل الفكر بالشعوب وما له من سحر فى أموره الظاهرية وليخفى حقيقة باطنية فى أنفسنا والتى وهبها الله للناس جميعاً وهى المؤدية للتميز والإبداع والابتكار وهى الهبة الخاصة أى «الميول الخاص» للأفراد.

وأعنى بهذا العرض لبعض أفكار الغرب والتى تقودنا دائما إلى التخلف والجهل لنكون متلقين دائما لأفكارهم ومستخدمين لابتكاراتهم من أجهزة وأدوات وتكنولوجيا.....إلخ. فلعلنا نكون أصحاب فكر حقيقى يتماشى مع بيئتنا وأخلاقنا الحميدة المستمدة من الخالق لا من المخلوق.

الفصل السادس

مثالب الألفاظ والفكر بدون تعقل

ينبغى أن نعلم كما جاء فى كتاب (نظرات على الديانات الشرقية) بأن أى فكر خاص بالعقل والسلوك الإنسانى والقيم عند بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس الغربيين ليس له علاقة بالأديان ولا يخضع هذه الأفكار إلى وجود أى علاقة بين العبد وخالقه، وهؤلاء الفلاسفة وأصحاب نظريات الذكاء ظنوا أن الإنسان استطاع أن يحصل لبنى نوعه أمرا قد فات الدين إدراكه. وهذا الأمر هو: ذلك التقدير الشديد للعقل الإنساني، واتخاذه أساسا مهما للتشريع والإلزام بما يشرعه المكلفين به، ومجازاتهم على معاييره «أى تفاوت ذكائهم».

ولك عزيزى القارئ بأن تلاحظ أن الواقع والملموس فى مجتمعنا المصرى خاصة ومجتمعنا العربى والعالم الثالث عامة أننا نتلقى سلسلة من الأفكار المرتبة والممنهجة بدقة ومواكبة للتقدم والتطور للإنسان البشرى وهدفها واحد وهو «التفــرقة» بين الأفراد والمجتمعات وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة وأذكر لك بعضها.

سلسة الأفكار والتفرقة:

١ - حركة جالتون والمسماة «اليوجينيا» والمحك الرئيسى لها «الذكاء» وهذا منذ ١٨٨٣ م. وهدفها «التفرقة العنصرية» ونظريات الذكاء لترسيخ

التفرقة العنصرية واعتباره المحك الرئيسى للفروق الفردية. والتى أدت إلى تغييب معظم الناس عن الحقيقة لاكتشاف القدرات الخاصة للأفراد والمؤدية للإبداع والابتكار.

٢ – تشجيع **الهجرة** إلى البلاد المتقدمة الأوروبية والأمريكية إما بغرض الدراسة والإمكانيات أو إيجاد فرصة للعمل فى الأراضى الشاسعة والمراد بها ظاهريا مساعدة العالم الثالث، ليقوموا بالخدمة والفلاحة والقيام بالأعمال الخدمية فقط وتسهيل بث الأفكار لهم والمراد نشرها والاعتقاد بها.

٣ – انتشار وبث فكر «**العلمانية**» والتى جاءت بعد التقدم العلمى الباهر الذى اعتمد على العلم، ولقد جاء هذا المصطلح بمعنى يعتمد الاعتماد على التقدم العلمى وهذا شيء جميل ويحفزنا الله عليه دائما. فنلاحظ بأن فريق من الناس اعتنقوا هذا المفهوم الحقيقى والأخذ بالحقائق العلمية دون التناقد مع مرجعياتهم الدينية وهذا هو الأمثل والأفضل بالنسبة لكل انسان له عقيدة دينية تقربه إلى الله دائما وأن العلم والأبحاث تدل وتؤكد قدرة الله المدبر للكون كله ومعطي ومانح لكل العلوم والأفكار وجاء الفريق الآخر ليعتنق العلمانية بوجهة نظر أخرى وهى الأخذ بالعلم فقط وغض النظر عن أى معتقد ديني، وهذا أدى إلى التفرقة بين الناس من هو العلمانى الذكى المتقدم والمثقف والمتطور مع العصر وغير العلماني والموصوف بأنه لا يريد التقدم بالعلم ولا يريد التطور ومواكبة العصر العلمى للنهوض والرقى واختيار أشياء لتجعله ساكنا بل تجعله متخلفا ومتحجرا.

ولك أن تلاحظ أن هذه العلمانية أنتجت فريقين وانتشرت لترسيخ التفرقة العنصرية بين الأفراد والمجتمعات لدرجة أنك تلاحظ هذا فى الأسرة الواحدة، من يعتقد بالعلمانية ومن يرفضها. بالرغم من أن العلمانية الحقيقية ومفهومها الصحيح يؤدى إلى التقدم والوصول الى قدرة الله.

٤ - وجاء الفكر **(الديمقراطى والليبرالي)** اللذان اقترنا بالعلمانية فمن يريد أن يكون ديمقراطيا حرا فى رأيه يكون علمانيا، فظهرت التفرقة الكبيرة بين الناس ولقد تم اقتران الحرية بالعلمانية والمتحررون العلمانيون هم الديمقراطيون الأحرار، فأنتجت طوائف أخرى وصفوا «بالرجعيين المتخلفين» فلك أن تلاحظ بأن الألفاظ والكلمات لها قوة السحر على النفس البشرية للوصول لها على الرغم بأنها لم تصل بالفرد لشيء حقيقى لوصفه بهذا اللفظ أو ذلك المعنى بل تزيد التعصب للأفكار لتزيد قوة التفرقة وزيادة الفجوة بين الناس لتغييبهم عن الحقيقة الإلهية وهى قدرة الله على تواجد الهبات الخاصة لكل إنسان بعدم تعاونهم بالبر والتقوى بل ليستمر النزاع والصراع والتفرقة بين الناس.

على الرغم من أن كل هذه المصطلحات بمعانيها الحقيقية يحثنا عليها الله دائما وهى الأخذ فى كل الأمور الجماعية والتى تخدم كل المجتمع وهى بأن يكون الأمر بالتشاور بين الأفراد للوصول للأنسب والأفضل وهذا جاء بمعنى (الأمر شورى بينكم).

وأيضا أن يكون الإنسان حرا ومتحررا من العبودية وعدم التفرقة

والتمييز بين الناس ولهم الخيار فى اختيار أحد الطريقين: الفجور أو التقوى، وأن الحساب سوف يكون لكل فرد على ما سلكه من أحد الطريقين. إما إلى جهنم وإما إلى الجنة. فأنت حر ما لم تضر الآخرين أو تغضب الله عليك.

٥ - وجاء التقدم الكبير فى **علم الوراثة** والجينات الوراثية وعلم الهندسة الوراثية والجزيئات البيولوجية فأوهموا الناس بأنهم قادرون على فعل كل شيء حتى يصنع إنسان ذكى بطريقة طفل الأنابيب. وجاءوا بعلم فأوهموا الناس بأنهم قادرون على عمل «خلية صناعية» ولك أن تلاحظ بأن هذه الأفكار العلمية التى انتشرت بأن لهم القدرة على صناعة كل شيء من العدم وهذا قمة الخطأ لأنهم لم يفعلوا ولن يفعلوا ولكن ليبعدوا الناس عن معرفة قدرة الخالق فقاموا بزرع أشياء ظاهرية لثقافات فكرية وهمية وغير حقيقية هى الأخرى مثل كلمة الذكاء.

وأنا أقول أفكار وهمية وهذا لأنهم بالفعل لم يقوموا بصنع إنسان ذكى ولا حتى غبى ولا حتى أى مخلوق متناهى الصغر ولا يرى بالعين المجردة وأيضا لم يستطيعوا ولن يقدروا خلق (خلية صناعية) وأعقب على ذلك للتوضيح، بأن صنع الأشياء دائما من الطبيعة وأقصد هنا بأن الشيء المصنوع لم يكن موجودا بين الناس من قبل مثل المصباح الكهربى والتليفون والطائرة والكمبيوتر...... إلخ.

ولكن المواد المستخدمة فى الصناعة والابتكار موجودة فى الطبيعة

التى خلقها الله القادر على الخلق أو صنع الأشياء من العدم، ولكن قام بعض العلماء بصناعة المواد الكيميائية المكونة للحامض النووى(DNA) المماثل لخلية حية معينة ووضعها فى خلية حية أخرى وكل هذا موجود ومخلوق من الله ولم يأتوا بجديد أو صناعة من العدم.

وللأسف الشديد تلقينا بنشر هذا الخبر فى الإعلام فى النشرات الإخبارية وقام شخص يدرس بالخارج فى هذا التخصص بالتعليق غير الموضح للحقيقة وحزنت أكثر لعدم وجود توضيح من علمائنا المتخصصين فى هذا العلم للناس الحقيقة كاملة على وضعها الدقيق والحقيقى، وهو نقل مادة كيميائية مماثلة من خلية إلى أخرى فهم بذلك يتركون الناس للتخبط والذى يزعزع بعض النفوس المريضة وحتى العلماء غير المتخصصين فى هذا العلم.

٦ - وجاء عصر المعلومات والاتصالات والذى جاء معه كلمة «**العولمة**» والتى ساعدت ويسرت على نشر الثقافة الفكرية والأخلاقية المراد نشرها بين الناس لتزيد التناقضات والاختلافات والحريات غير المحدودة لفعل أى شيء دون قيود ولا حدود فشاعت «الفوضى الخلاقة» وهذا المصطلح الجديد والحديث علينا.

فبدأ الصراع والاختلافات الشديدة بيننا والتعصب كل منا لرأيه، فحاول كل فرد توصيل رأيه للناس ليكون نجما فى المجتمع وتصارعوا على الظهور فى الفضائيات الكثيرة والعديدة ولاعتقادهم بالمصطلح الأحدث وهو «الصفوة».

فأرى من وجهة نظرى أن معظم الناس يحاولون أن يكونوا من رجال الصفوة أو الحكماء وجاء كل رجل يعتقد أنه من الحكماء ورجال الصفوة بأن يفتى ويصرح ويتحدث فى أى ميدان من ميادين الحياة لأنه أوهم نفسه بأنه ذكى العقل، وناصح وفهلوى ويستطيع إقناع الناس بما يريد سواء كان خطأً أو صواباً.

فيقوم البعض من المتخصصين بالخبرة فى أى ميدان بالإفتاء والرشد فى كثير من الميادين الأخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفهلوية وحتى وصلت بهم أن يفتوا فى الدين.

لعلك تلاحظ عزيزى القارئ من يقوم بالفتوى فى الإرشاد فى أى ميدان غير ميدانه وكأنه يعلم فى كل الميادين فهو يرتكب خطأً فى حق الناس غير الواعيين وهم كثيرون فى مجتمعنا بل هم الغالبية حتى ولو كانوا أساتذة بالجامعات.

ولك خلاصة القول فى هذا الأمر وهو نتاج سلسلة الأفكار التى تلقيناها من غيرنا وتوارثناها جيلا بعد جيل حتى وقتنا هذا.

فهذا الفكر كيف نأخذ به وهو يعارض ما خلقنا عليه ولكن نجد على العكس تماما بأن القرآن الكريم يهتم بالعقل اهتماما شديدا، فهو يعطيه قدرة دون أن يحمله فوق طاقته. سوف تقرأ وتتأكد فى الجزء الخاص «بالهبة»، من الآيات القرآنية البديعـــة والتى تتناول العمليات العقلية بالتفصيل وهى التفكر والتعقل والتذكر وما لهم من أهمية بالنسبة للإنسان

وأيضا عند اللوم والعتاب الشديد من الله بعدم استخدام هذه العمليات العقلية للهداية والسلوك الصحيح.والتعاون والتكيف مع البيئة فى الحياة الدنيا والذى يقربنا الى الله ليرضا عنا.

- فكيف نقتدى بألفاظ وأفكار دون التعقل والانتباه إلى معناها الحقيقى فهى قد لاتتماشى مع مجتمعاتنا بعاداته وتقاليده الأخلاقيه المستمده من عقائدنا. وهذه الأفكار التى ظهرت لنا بالكلمات والألفاظ التى لم تعط المعنى الحقيقى والمفهوم الواحد عند الناس. فهذه الكلمات والألفاظ والتى جاءتنا من أشخاص عاداتهم وتقاليدهم غالبا تكون مختلفه عنا.وقد أخذنا هذه الأفكار بدون تفكر وتعقل فغيبتنا عن الحقيقة وكان هذا بقصد أو بغير قصد لهؤلاء الأشخاص.

فإنك عزيزى القارئ إذا أيقنت ما أقوله وكان صحيحا فيجب أن نلوم أنفسنا ولا نلوم غيرنا لأننا تلقينا هذه الألفاظ والأفكار بالرغم من أنها ضد عقيدتنا والتى وضحت لنا ولكل الناس فى الكون ما هو دور العقل فى الإنسان ليقودنا إلى الطريق المستقيم ولينسق مع النفس برغباتها وبهباتها الخاصه والتى هى المسئولة عن التميز والإبداع وليكون لكل فرد هبته الخاصه لتجعله منفردا بقدرة خاصة ليخدم بقية الأفراد من الكون كله.

الموهبة:

ولقد شاعت كلمة بين الناس وانتشرت بقوة بسبب سهولتها فى المشاهدة من السلوك الظاهرى لبعض الناس وهى كلمة الموهبة والتى فى أصلها

اللغوى «الهبة» فأطلقوا على كل إنسان يمتلك هذه الموهبة أنه موهوب وأعادوا وجود هذه الموهبة إلى نوع من الذكاء العقلى لهؤلاء الأفراد المتميزين بمواهبهم فمنهم فى الرياضة أو الموسيقى أو الشعر أو الرسم أو الفن.

ولعلك تجد بأن علماء النفس والاجتماع ومن قبلهم الفلاسفة والمفكرون اقتصروا بهذه الموهبة فى جزئية قليلة جدا من ميادين الحياة.

وبهذا القصر أو الاختصار بهذه الموهبة لميادين محدودة من ميادين الحياة الكثيرة والتى لا تعد ولا تحصى فهم أغفلوا وغيبوا الناس من بعدهم عن معرفة المعنى الحقيقى لأصل الموهبة وهى «الهبة» التى جعلها الله خاصة لكل الناس وهم باعتقادهم الخاطئ ووهمهم بوجود ذكاء عقلى فذهبوا إلى دراسة بقية الميادين من الحياة لمعرفة الفروق الفردية بين الأفراد فى كل ميادين الحياة.

وبعد قراءتك أيها القارئ للمناقشة والتحليل للمفاهيم السابقة فوجدت أنها متناقضة ومختلفة ولم تقبل من هؤلاء العلماء والذين اعترفوا بأنفسهم على عدم اتفاق على معنى حقيقى لكلمة الذكاء ولما رأوه من تفاوت فى القدرات الفردية للأفراد فأعادوها إلى تواجد هذه القدرات الخاصة إلى الذكاء الخاص لكل ميدان وجاءوا لنا بأحدث النظريات وهى الذكاءات المتعددة وأعادوها إلى القدرة الخاصة والتى تظهر الذكاء الخاص ولكن لم يتفقوا على ماهية القدرة، وبعدم معرفة ما هى القدرة وما معناها

أيضا اقتصروا بهذه النظرية على نقاط قليلة كما ذكرتها من قبل لا تتعدى العشر نقاط أو موضوعات من ميادين الحياة كلها والتى لا تعد ولا تحصى.

وأوضح لك أيها القارئ بأن قولهم واعتقادهم الخاطئ وإن كان مقصودا أو غير مقصود وهو اقتصارهم على الجزئية القليلة من ميادين الحياة لإغفال حق الله. لكنه وهب الناس الهبات العامة والخاصة بالتساوى لكل البشر ولما اقتصروا هؤلاء العلماء للأشياء الظاهرية فى السلوك والتى لم يختلف عليها أحد أعادوها إلى شيء وهمى ومصطنع فى كلمة الذكاء لإغفال معظم الناس عن الحقيقة المؤدية الى الفروق الفردية والتميز للافراد.ولكن لم يستطيعوا إغفال المؤمنين حقا والمعتقدين بأن الله خلق الناس جميعا متساوين فى كل شيء ولكنى ألتمس لهم العذر باستخدامهم هذا اللفظ الذكاء فى تفسيراتهم وفى حديثهم وقولهم متأثرين بعلماء اللغة العربية كما وضحت سابقا ولكن بإيمانهم الحقيقى وعقيدتهم الراسخة لكلمة ذكى أو غبى ولكن استخدموها لكى تساعدهم على وصف الشيء الظاهر أيضا وليس الباطن والخفى فى التفسير وهو الميول أو الاستعداد وأيضا أرى وأستمع لبعض علماء الدين يميلون دائما لذكر كلمة الهبة دائما فى حديثهم ودروسهم.

وأضيف لك تحليلا لماذا جاءوا لنا العلماء والفلاسفة بالأشياء الظاهرة والسلوك البشرى فى الميادين القليلة التى أعادوها إلى الموهبة أو الملكة

لأنهم لم يستطيعوا اللعب فى عقول الناس لإقناعهم بشيء أو بسبب مصطنع من عندهم تعود إليه هذه الموهبة فأعادوها إلى الله ولكن استطاعوا إقناع كل الناس بأنه نوع من أنواع الذكاءات لأن هذه الهبات ظهرت فى سلوكهم وأصبحت سهلة المشاهدة والرؤية والاستماع عند كل الناس فأقروها بأنها من عند الله ولكن أعادوها لشيء لا وجود له فى العقل مما جعل الناس من الصعب والمستحيل التوصل إلى حقيقة الأمر والمعنى الحقيقى المفسر لكلمة «الهبة».